دراسات في خدمة المدينة النبوية (١)

أُحُد

الآثار - المعركة - التحقيقات

تأليف

سعود بن عبد الحي الصاعدي و يوسف بن مطر المحمدي

المدرسين بالجامعة الإسلامية

الناشر

دار المجتمع للنشر والتوزيع

الرئيس جدة - ميدان الجامعة - ص.ب ٤٠٨٤٥ - جدة ٢١٥١١ { الإدارة ٦٨٩١٤١٧ - المكتبة ٦٨٩٤٤٦١ - الفاكس ٦٨٩٤١٤٤

الفروع: الخبر - شارع الأمير نايف - تقاطع ١٦ - ص.ب ٢٣٢١ - الخبر ٣١٩٥٢ { المكتبة ٨٩٤١١٣٦ - الفاكس ٨٦٤٣٧٣٥

• المدينة المنورة - شارع الستين - ص.ب ٢٠٢٤٢ { المكتبة ٨٣٨٨٢٩٢ - الفاكس ٨٣٨٨٢٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ ~ ١٩٩٢م

مقدمة

الحمد لله الذي فاضل بين بقاع الأرض، كما فاضل بين خلقه، نحمده سبحانه وتعالى حمدا يليق بجلاله وعظمته. ونصلي ونسلم على المختار من خلقه الذى اصطفاه سبحانه وتعالى لرسالته، واختار له مدينته، التي انطلق منها موكب الإيمان ليسطع نوره في أرجاء المعمورة. عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد:

فإن للمدينة النبوية مكانة عظيمة في قلوب المسلمين، لا تعادلها مكانة. ولها في قلوبهم حبٌ لا يعد له حبٌ، ولا شك بأنها جديرة بتلك المكانة، خليقة بهذا الحب.

ولقد ولدنا ونشأنا فيها، لا نريد عنها بدلا، نستمتع بمناظر جبالها ووديانها وخضرتها، ونسأله سبحانه وتعالى أن لا نموت في غيرها، وأن لا ندفن في غير تربتها، التي شرفها الله باحتضان جسد أفضل الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ونسأله العمل الصالح فيها.

وكيف لا يكون ذلك موقفنا منها؟ وقد شرفها الله لتكون أفضل بقاع الأرض — وعند بعض أهل العلم بعد مكة — وكيف لا يكون ذلك موقفنا منها؟ وهي مأرز الإيمان، ومهاجر النبى ﷺ، ومنطلق الدعوة، وعاصمة الاسلام.

ومن هذا المنطلق، ومع ما نرى من حق المدينة على كل مسلم أن يُعْنى بكل كبيرةٍ وصغيرةٍ عنها، وعمّا وقع فيها من أحداث تاريخية عظيمة، وأن يُشيِدَ بمآثرها ويسطر مفاخرها، ويخلد ذكراها في جنبات التاريخ، كان لنا الشرف الكبير أن نسطر هذا الكتاب عن جانب من الجوانب لم يعط حقه من الدراسة والتوثيق. وقد وجدنا في أنفسنا رغبة ملحة للوقوف على حقائق هذا الجانب، والمتمثل في جبل أحد الذى أحبه حبيبنا ﷺ، فقد جاء عنه في الحديث الصحيح أنه قال: (أحد جبل يحبنا ونحبه). فينبغي لكل مؤمن أن يحبه كما أحبه أفضل الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقد تعرضنا للمعركة التي وقعت في سفحه وسميت باسمه من حيث الدروس والفوائد التي هي هَمّ الباحث وبغيته. متناولين بجانب البحث التحقيق في مسائل فقهية أفردت لأهميتها والحاجة المنشودة اليها.

كما تعرضنا لبعض الأعلام ممن ضحوا بأنفسهم في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، واقتصرنا بما ورد عنهم يوم أحد حتى لا نخرج عن اطار موضوعنا.

واستكمالا للفائدة المرجوّة من هذا الكتاب، تتبعنا الآثار الموجودة في أحد كمسجد الجبل، والمهراس، والغار، وقبر هارون المزعوم.

أو المجاورة لأحد: كجبل الرماة، وتيأب، وثور، ووادى قناة. مبدين رأينا فيما ورد فيها من صحة أو بطلان.

وسيجد القارىء الكريم في هذا الكتاب حدود المدينة، وبالأخصّ حدّها من الناحية الشمالية والمتمثل في تعيين جبل ثور.

وقد أوردنا ملخصاً لأقوال العلماء القديمة والجديدة في تعيينه، ورجحنا ما نراه راجحا، مع استبعاد المرجوح في هذه المسألة، وحاولنا أن نكون أكثر دقة في وضع عنوان البحث في موضوعه فقلنا (**ثور وموقعه المظنـون**). ولم نأت بصيغة القطع والإلزام التي نرى أن لا توضع لعنوان أى بحث فيه خلاف معتبر بين أهل العلم.

وقد حاولنا في هذا الكتاب التحرى حول صحة الروايات وخاصة المتعلقة بالمعركة قصارى جهدنا على حد قول القائل: (ولكنني حاولت في الجهد مذهبا).

وينبغي التنبيه إلى أن هناك بعض الروايات المسندة التى لم نتعرض لها في جرح أو تعديل ولكننا أسندناها. — ومن أسند فقد سلم — مع محاولتنا الجادة بالبحث عن درجتها من خلال كتب ومقالات أرباب هذا الفن.

وقد تحلى هذا الكتاب بصور حديثه للآثار المذكورة والتى بذلنا فى إخراجها الكثير من الجهد والمشقة، ولك عزيزى القارىء أن تدرك تلك المشقة اذا تصورت مشقة الوصول الى أعلى قمة في جبل أحد. حيث التقطنا من هناك بعض الصور التي تجدها ضمن هذا الكتاب.

وما ذلك الّا في سبيل أن نرسم للقارىء المكان لَيقَرُبَ المعنى إلى الذهن عن تلكم المعالم الأثرية التي هي جزء من معالم اسلامية جَمْة، هي عنوان حضارتنا التي سادت ولن تبيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي الختام. فاننا نذكر القارىء بأن عملنا هذا لم يخرج عن دائرته البشرية التي يحدث فيها الخطأ والنقصان، ولا ندعى غير ذلك ــ والكمال لله وحده ــ وحسبنا أننا أفرغنا فية وسعنا، واجتهدنا لاخراجه بالصورة المرضية، فإن أصبنا فبتوفيق الله، وإن أخطأنا أو قصرنا فجهد البشر، راجين من الله تعالى الثواب، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، انه ولي ذلك وهو السميع المجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلفـــان

يوســـف بن مطـر المحمـدي

سعــود بن عبـد المحيي الصـاعـدي

آثار جبـــل أحـــد

* موقـع جبـل أحــد وحــدوده .
* ســبب تسميتــه بأحــــد .
* مـا ورد في أحــــد من الأحـاديث النبويــة .
* أحــد مضـــرب الأمثــال .
* غـــار جبــل أحــد .
* المهـــاريـــس .
* قبـــة هـــارون .

موقــع جبــل أحـــد وحـدوده

عندما تكون في المدينة النبوية ــ وفي أي مكان منها ــ وتتجه بنظرك إلى الشمال فإنك تشاهد على بُعد خمسة كيلو مترات الجبل التاريخي الشهير ــ أحـد ــ بمنظره الجذّاب الجميل ــ الأحمر المكسو بقليل من السواد لا يملُّ الناظر إليه من مشاهدته ــ ولا غرو في ذلك ــ فقد أخبرنا المصطفى ﷺ بأنه من جبال الجنة يحبنا ونحبه(١)، وقد كان ﷺ يستأنس برؤيته عند قدومه للمدينة النبوية.

وإن الناظر إلى هذا الجبل التاريخي الشهير من بعد يظنه جبلًا واحداً ولكنه في حقيقته سلسلة من الجبال المترادفة المتصلة متعددة القمم والشعب. وتمتد هذه السلسة التي تحمل اسم (أُحُد) من طريق المطار شرقاً إلى طريق العيون غربا. ويبلغ طوله ثمانية كيلو مترات. وعرضه كيلوين من الناحية الشرقية، وأكثر من ثلاثة كيلو مترات من الناحية الغربية وحدوده كالاتي:

١ ــ من الشرق: طريق المطار، جبل تيأب، ومدرسة محمد بن عبد الوهاب الابتدائية.

٢ ــ ومن الجنوب: حي الشهداء، ومزارع سفح جبل أحد، وضريح الشهداء، وجبل الرماة، ويمر بمحاذاته من هذه الجهة وادي قناة على بعد (١٠٠٠ متر) منه.

٣ ــ ومن الغرب: حي الطيّارية، ومزارع العيون، وطريق العيون.

٤ ــ ومن الشمال: طريق غير المسلمين، وجبل ثور ــ على أحد الأقوال ــ وأسواق الماشية وسوق الخردة.

---

(١) سياق ذكر الأحاديث الواردة في أحد.

سبب تسميته بأحد

في سبب تسميته بأُحُد أقوال:

الأول: أنه سمي بذلك لتوحُدِه عن الجبال لأنه محاط بالسهول والأوديه.

الثاني: أنه سمي باسم رجل من العمالقة اسمه أحد وهو أول من سكنه.

الثالث: أنه سمي بأحد رمزاً لوحدانية الله تعالى(١).

وقال ياقوت الحموي: هو اسم مرتجل لهذا الجبل(٢).

وقال الفيروز بادي: وقد سمى الله تعالى هذا الجبل بهذا الاسم تقدمة لمّا أراد سبحانه وتعالى من مشاكلة اسمه، بمعنى أن أهله، وهم الأنصار، نصروا التوحيد، والمبعوث بدين التوحيد [استقر] عنده حيا وميتا.

وكان ﷺ من عادته أن يستعمل الوتر ويحبه في شأنه كله استشعاراً للأحدية، فوافق اسم هذا الجبل لأغراضه ومناسبة ومقاصده في الأسماء، ومع أنه مشتق من الأحديه فحركات حروفه الرفع؛ وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه، فتعلق الحب من النبي ﷺ به اسماً ومسمى، فخص من بين هذه الجبال بأن يكون معه في الجنة إذا بست الجبال بساً(٣).

وذكر ابن شبّه: أن أهل الجاهلية كانوا يسمون أحدا عنقدا(٤).

أما ما ذكره الاستاذ عبد الله بن خميس بأن أهل المدينة يسمونه (حِنْ) (٥) فهذا من قول عامة الناس الذين قالوا بأن الجبل حَنْ عند نقل قبر حمزة رضى الله عنه ومن معه من الشهداء، وهذا لا أصل له. والأعجب من هذا القول قول بعضهم بأن الجبل قدم من الشام وهو يحن فلما قارب المدينة استقر في مكانه.

ولا نرى بأن يسمى هذا الجبل بغير ما ذكره به رسولنا ﷺ.

---

(١) الدر الثمين في معالم دار الأمين — لمحمد غالي ص ١٧٩.
(٢) معجم البلدان — لياقوت الحموي — جـ ١ — ص ١٠٩.
(٣) المغانم المطابة في معالم طابة — للفيروز ابادي — ص ١٠ — ١١.
(٤) تاريخ المدينة المنورة — لابن شبه جـ ١ ص ٨٥.
(٥) معجم جبال الجزيرة — لعبد الله بن خميس — جـ ١ ص ٢١٣.

ماورد فى أحـــد

ورد في جبل أحد عدة أحاديث تدل على فضله وهي كالتالي :

عن عباس بن سهل عن أبي حميد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وساق الحديث وفيه ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فقال رسول الله ﷺ إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع معي ومن شاء منكم فليمكث فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال هذه طابة ، وهذا أحـد وهو جبل يحبنا ونحبه (١) .

وعن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدا جبل يحبنا ونحبه » وفي رواية قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أحد فقال : « إن أحـدا جبل يحبنا ونحبه (٢) .

وعنون البخاري بابا في ذلك فقال : [باب أحـد جبل يحبنا ونحبـه] (٣) .

وعن أبي عبس بن جبر مرفوعاً : (جبل أحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة) (٤) .

وللعلماء في معنى قوله ﷺ : « يحبنا ونحبـه »

أقــوال :

أحدها : أنه على حذف مضاف ، والتقدير أهل أحد ، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه .

ثانيها : أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم ، وذلك فعل من يحب بمن يحب .

ثالثهـا : أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره (٥) وهذا هو القول الراجح عندنا والله أعلم .

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم ، باب فضل أحـد ـ المجلد الخامس ـ جـ ٩ ، ص ١٦٣ وهذه الرواية تفيد أن النبي ﷺ قال ذلك بعد رجوعه من غزوة تبوك . وقيل : من خيبر ، وقيل : بل رجع من الحج . وقد يكون تكرر منه ﷺ ذلك أكثر من مرة ، والله أعلم .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم . باب فضل أحد ـ المجلد الخامس ـ جـ ٩ ، ص ١٦٣ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ جـ ٧ ـ ص ٣٧٧ .

(٤) ذكره ابن حجر في الفتح وعزاه إلى أحمد . الفتح . جـ ٧ ـ ص ٣٧٨ .

(٥) أنظر الأقوال في فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ لابن حجر ـ جـ ٧ ـ ص ٣٧٨ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه فإذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه»(١).

وكانت زينب بنت نبيط ـ زوجة أنس رضى الله عنه ـ ترسل ولا ئدها إلى أحد ليحضروا لها من نباته، ولو من عضاهه، لأنها سمعت أنسا يذكر الحديث السابق(٢).

(١) مجمع الزوائد ـ للهيثمي ـ جـ ٤، ص ٣ظ، ورواه ابن شبه في تاريخ المدينة جـ ١، ص ٨٤.
والعضاة: كل شجر له شوك. وقيل: اسم يقع على ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه فإن لم تكن طويلة فليست من العظاه. لسان العرب لابن منظور جـ ١٣، ص ٥١٦.

(٢) تاريخ المدينة المنورة: لابن شبه ـ جـ ١، ص ٨٤ «بتصرف».

[أحـد والروايـات الضعيفـة]

هـذه بعض الروايات الضعيفـة التي ورد ذكـر أحـد في ثناياها

١ ــ «هذا أحـد جبل يحبنا ونحبـه، إنه على باب من أبواب الجنـة، وهذا عير يبغضنا ونبغضـه إنه على باب من أبـواب النـار»(١).

٢ ــ «أحـد ركـن من أركـان الجنـة»(٢).

٣ ــ «أحـد على ترعة من تـرع الجنـة، وعير على ترعة من تـرع النار»(٣).

٤ ــ «يعظم أهل النار في النار، حتى إن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثـل أحـد»(٤).

٥ ــ «أربعـة أجبـال من أجبـال الجنـة، وأربعـة أنهـار من أنهـار الجنـة وأربعـة ملاحـم من ملاحـم الجنة، قيل فما الأجبـال؟ قال أحـد يحبنا ونحبـه جبل من جبال الجنـة، والطـور جبل من جبال الجنـة ولبنان جبل من جبال الجنـة، والأنهـار الأربعـة النيـل، والفـرات وسيحـان وجيحـان، والملاحـم بـدر، وأحـد، والخنـدق، وحنيـن»(٥).

---

(١) الجملة الأولى من الحديث صحيحة لما تقدم من الأحاديث الصحيحة في ذلك. أما بقية الحديث فقد ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ــ المجلد الرابع، ص ١٢٢ حديث رقم (١٦١٨) وذكره الهيثمي وضعفه ــ مجمع الزوائد ــ جـ ٤، ص ١٣

(٢) ضعفه الالباني، المرجع السابق. نفس الصفحة، حديث رقم (١٨١٩) وذكره الهيثمي.

(٣) ضعيف جدا. الالباني المرجع السابق، ص ٢٩٨، حديث رقم (١٨٢٠)

(٤) ضعيف، الألباني، المرجع السابق، المجلد الثالث، ص ٤٩١، حديث رقم (١٣٢٣). قال الألباني، ويعارض هذا ما عند مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحـد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث». المجلد التاسع من شرح النووي على صحيح مسلم. الجزء ١٧ ــ ص ١٨٦. وأنظر الحديث وتخريجه في أحد مضرب الأمثال.

(٥) ضعيف أنظر مجمع الزوائد للهيثمي. جـ ٤ ــ ص ١٤ ولم يذكر الجبل الرابع في رواية الهيثمي علماً بأن بعض جمل الحديث صحيحة.

أحـــد مضـــرب الأمثـال

ضرب رسول الله ﷺ المثل بأحـد في أحاديث كثيرة، منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحـد ذهبـا ما يسرني أن لا تمـر عليّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصـده لدين»(١).

ومثله حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: كنـت أمشي مع النبي ﷺ في حرّة المدينـة فاستقبلنا أحـدا فقال: يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله قال: «ما يسرني أن عندي مثل أحـد هذا ذهبا تمضي عليّ ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئاً أرصده لدين...»(٢) الحديث.

وما ورد في فضل الصحابة رضي الله عنهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحـد ذهباً ما بلغ مـدّ أحدهم ولا نصيفـه»(٣) وفي رواية «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحـد ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»(٤).

وفي فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن [أم موسى] قالت: سمعت عليا رضي الله عنه يقول: أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة أمـره(٥) أن يأتيه فيها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حموشـة(٦) ساقيه فقال النبي ﷺ: «ما تضحكون، لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحـد»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١١، ص ٢٦٤، حديث رقم ٦٤٤٥
(٢) المرجع السابق: ص ٢٦٣، حديث رقم (٦٤٤٤).
(٣) المرجع السابق: كتاب فضائل الصحابة، جـ ٧ ص ٢١ ــ حديث رقم (٢٦٧٣) المجلد الثامن، جـ ١٦، ص ٩٢ ــ رواه الترمذي في المناقب. انظر: تحفة الأحوذي بشرح الترمذي جـ ١٠، ص ٣٦٣.
(٤) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ــ المجلد الثامن ــ جـ ١٦ ــ ص ٩٢.
(٥) هكـذا في الفتـح الرباني.
(٦) حموشـة ساقيـة: أي دقتهما.
(٧) أخرجه أحمد، في المناقب. باب ما جاء في عبد الله بن مسعود، أنظر الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد، جـ ٢٢، ص ٣١٢، حديث (٢٩٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ــ جـ ٩، ص ٢٨٨، وقال رجالهم رجال الصحيح غير [أم موسى] وهي ثقة.

وذكر ﷺ أن ضرس الكافر يوم القيامة يكون مثل أحـد فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافـر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث»(١).

(١) أخرجه مسلم في [باب جهنم أعاذنا الله منها] ــ المجلد التاسع، جـ ١٧ ص ١٨٦.

غار جبل أحد

يوجد في جبل أحد غار صغير مساحته (٢ م × ١ م) تقريبا . يقع في شمال المسجد الذي استراح مكانه النبي ﷺ بعد انتهاء معركة أحد ، وقيل بأنه صلى فيه الظهر والعصر . كما سيأتي معنا في الحديث عن مسجد جبل أحد .

ويبعد الغار عن المسجد المذكور (١٠٠ م) وعن جبل الرماة شمالًا (١٠٠٠ م) وقد ذُكر أن النبي ﷺ اختفى فيه ، وهذا غير صحيح ولم يرد فيه شيء ، بل إن من يرى الغار من الداخل يجد أن أرضية الغار الضَيِّقة غير مستوية ، وصخوره غير منتظمة لا يرتاح عليها من يدخله . وقد حاول بعض الناس جمع حجارة ورصفها لتسوية أرضيته إلا أنه لم يستطيع إصلاحه .

وذكر السمهودي عن ابن النجار قوله : « في جبل أحد غار يذكرون أن النبي ﷺ إختفى فيه ، ومسجد يذكرون أن النبي ﷺ صلّى فيه وموضع في الجبل أيضاً منقور في صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أن النبي ﷺ قعد على الصخرة التي تحته ، وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد فيه نقل ، فلا يعتمد عليه »(١) قلت : (٢) أما المسجد اللاصق به ، فقد ثبت النقل به ، ولم يقف عليه ابن النجار وأتباعه .

وأما الغار : فلابن شبه عن المطلب بن عبد الله أن النبي ﷺ لم يدخل الغار الذي بأحد »(٣) .

---

(١) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ للسمهودي — ص ٤٣٧
(٢) الكلام للسمهودي .
(٣) أ — المرجع السابق : نفس الصفحة .
ب — تاريخ المدينة المنورة لابن شبه — جـ ١ ص ٧٦ .



صورة رقم ١

غار جبل أحد ــ الذي ذكر أن النبي ﷺ استراح فيه بعد انتهاء المعركة ولم يثبت عندنا.

المهـاريـس

يوجـد في جبل أحـد مجموعـة (قِلاتٌ)(١) تجتمع فيها مياه الأمطار النازلة من الجبل تعرف بـ (المِهاريسْ) جمع مهراس. وتقع شمال الغار في شعب الجرار المسمى شعب هارونْ، وأكبرها الأولى، وهي على مستوى سطح الأرض تقريباً، تصل السيارة على بعد عشرة أمتار منها. والمفرق إليها من الشعب أمام البوابة التابعة للبرق والهاتف شمالاً على بعد عشرين متراً. وكانت مياه الأمطار تتواجد طوال أيام السنة وذلك أثناء اعتدال موسم الأمطار شتاء، تكون عند هطول الأمطار عميقة ونقية، ثم تضمحل تدريجياً ويتغير طعمها ولونها ولكنها لا تختفي، حتى تهطل الأمطار في السنة التالية. وفي السنوات الأخيرة، ونظراً لتأخر الأمطار وشدة الحرارة في الصيف فإنها لا تلبث أن تختفي.

وذُكر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ بماء من المهراس في درقته، بعد انتهاء المعركة فوجد له النبي ﷺ ريحا فعاف شربه، وغسل منه الدم، وصب على رأسه(٢).

«وسئل سهل بن سعد رضي الله عنه عن جرح رسول الله ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء وبما دووِي. قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم. وكسرت رباعيته يومئذ،

---

(١) القلات: جمع قَلْت، بإسكان اللام وهي: النقرة في الجبل تمسك الماء. انظر لسان العرب لابن منظور ـــ جـ ٢ ـــ ص ٧٢. ويقال: قلت السيل للحفرة في صخر يستنقع ماؤه ـــ المعجم الوسيط ـــ جـ ٢ ـــ ص ٧٥٣.

(٢) أنظر: (أ) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفي ﷺ: للسمهودي ـــ ص ٦١١.
(ب) المغانم المطابة في معالم طابة ـــ للفيروز أبادي ـــ ص ٣٩٦ ـــ ٦٩٧.

وجرح وجهه، وكسرت البيضةُ على رأسه»[1].

ويبدو والله أعلم أن الماء المذكور في الحديث أحضره علي رضي الله عنه من المهراس لأنه أقرب مصدر للماء في مكان جلوس النبي ﷺ بعد المعركة، وهو المكان الذي صلى فيه عليه الصلاة والسلام صلاتي الظهر والعصر (مسجد جبل أحد).

والأولى عندنا تسمية المهاريس بـ (القلات) لأن المهراس: مأخوذ من الهرس، وهو: الدق. والمهراس: حجر مستطيل منقور، يتوضأ منه ويدق فيه، وسمي مهراساً لأنه يهرس به الحب وغيره[2].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت[3].

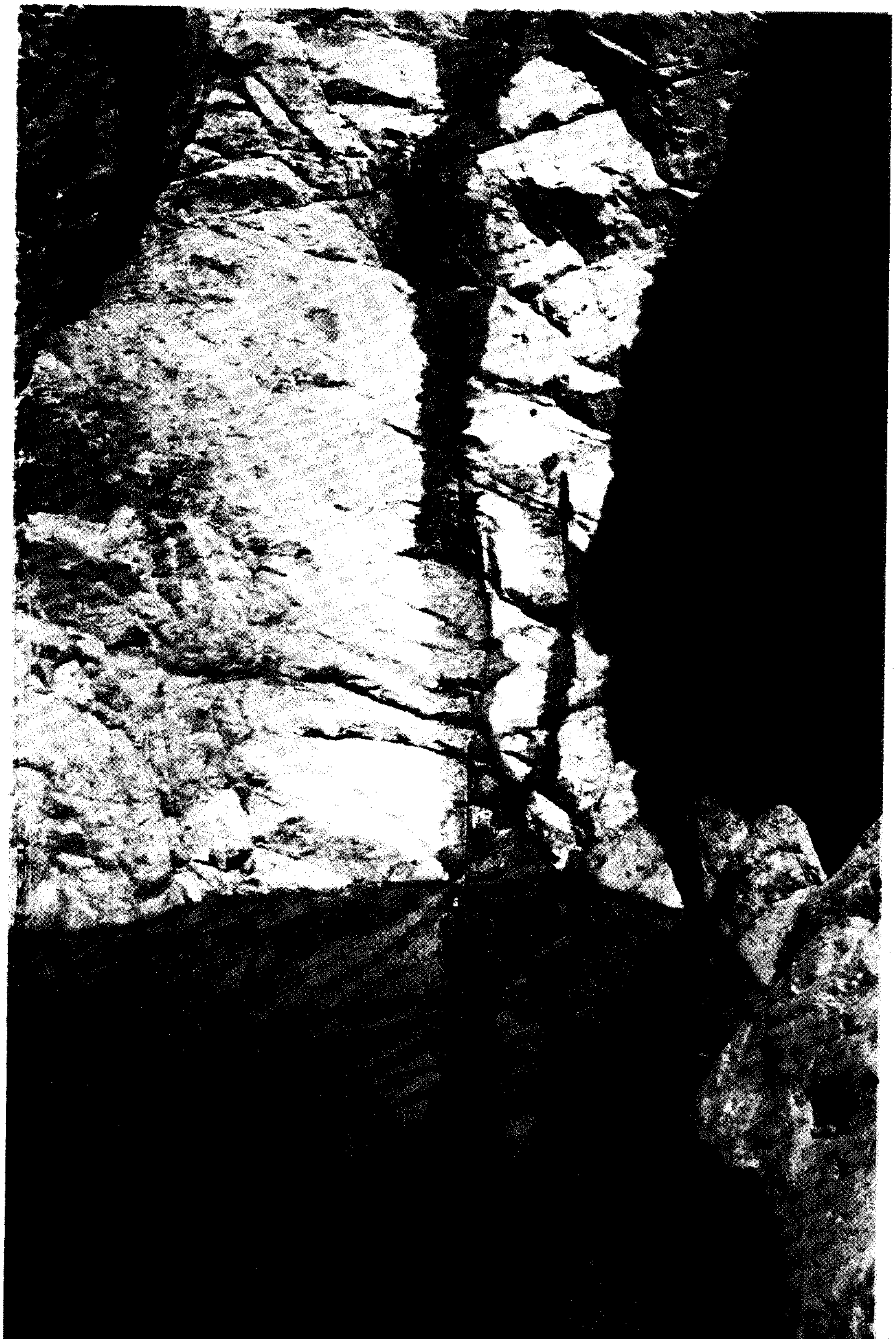
وفي آخر مرة رأينا فيها المهاريس[4] وجدنا أن العابثين قد شوهوا الصخور من حولها بكتابة أسمائهم وذكرياتهم، فنرجوا ممن يصل إلى هناك أن يحترم حق جبل من جبال الجنة وأن يحافظ على طبيعة الجبل الجميلة.

وقد ذكر المهراس في أشعار العرب كثيراً من ذلك قول عبد الله بن الزبعرى القرشي:

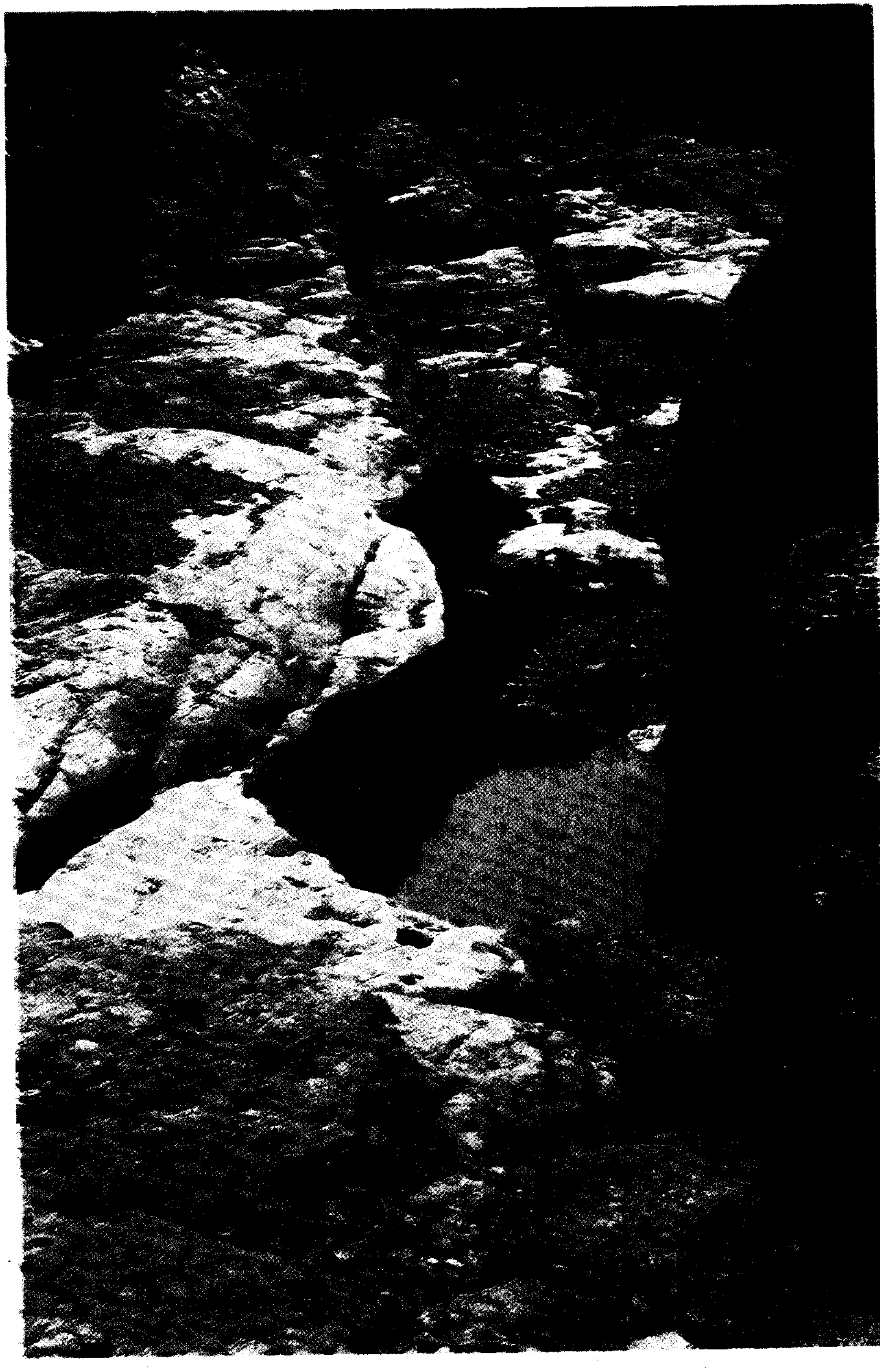
فسل المهراس ما ساكنه ... بين أفراس وهام كالحجل[5]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ـ باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد. حديث رقم (٤٠٧٥) جـ ٧ ـ ص ٣٧٢.
(٢) لسان العرب: لابن منظور ـ جـ ٦ ـ ص ٢٤٨. والمعجم الوسيط ـ جـ ٢ ـ ص ٩٨١.
(٣) أخرجه البخاري وغيره. أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ جـ ١٣ ـ ص ٢٣٢ ـ حديث رقم (٧٢٥٣).
(٤) في ٢٤ / ٨ / ١٤١٢ هـ.
(٥) آثار المدينة المنورة: لعبد القدوس الأنصاري ـ ص ١٧٩.



القلت الأولى ــ أكبر القلات المسماة بالمهاريس .



إحـدى القـلات المرتفعة التى تصـب في القلت الأولى.

قبـة هـارون

روى ابن شبه عن عبد العزيز الدراوردي عن رجل من الأنصار عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: خرج موسى وهارون حاجين أو معتمرين، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهود فنزلا أحدا وهارون مريض، فحفر له موسى قبرا بأحد وقال: يا أخي: ادخل فيه فإنك ميت، فدخل فيه، فلما دخل قبضه الله، فحثا موسى عليه التراب[1] فهذا الحديث يدل على أن قبر هارون في جبل أحد، ولكننا نرى أن ذلك بعيدٌ لوجهين:

الأول: أنه لم يذكر عن النبي ﷺ في غير هذا الحديث أنه أشار إلى ذلك، مع أنه ﷺ **ذكر مرور موسى عليه السلام بوادي الأزرق**[2] ملبيا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مر رسول الله ﷺ بوادي الأزرق فقال: «أي واد هذا؟» قالوا: وادي الأزرق. قال: «كأني أنظر إلى موسى وهو هابط من الثنية وله جؤار[3] إلى الله عز وجل بالتلبية...»[4].

أما ما نقله السهيلي عن الزبير بن بكار في فضل المدينة أن قبر هارون عليه السلام بأحد. قال فيه ابن حجر: «وسند الزبير بن بكار في ذلك ضعيف جدا من جهة شيخه محمد بن الحسن بن زبالة، ومنقطع أيضا وليس بمرفوع»[5].

ثانياً: «أنه ورد في الحديث أنهما خافا من يهود، والذين كانوا في المدينة من

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبه ــ جـ ١ ــ ص ٨٥.

(٢) وادي الأزرق: خلف أمج إلى مكة بميل.

(٣) جؤار: من جأر، أي: رفع صوته بالدعاء.

(٤) أخرجه مسلم وغيره. أنظر: صحيح مسلم بشروح النووي كتاب الأيمان ــ الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات. المجلد الأول ــ جـ ٢ ــ ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر ــ جـ ٧ ــ ص ٣٤٦.

يهود هم «بنو قينقاع» ، وهم أوفى شيعة موسى وهارون لهما »[1].

ثالثا: ذكرت أغلب كتب التاريخ كروائع التاريخ الإسلامي للطبري والبداية والنهاية لابن كثير: أن وفاة هارون كانت في التيه.

أما البناء المزعوم لهارون فهو عبارة عن مجموعة من الأحجار جُمعت ورُصّت على بعضها بارتفاع متر ونصف على شكل مسجد صغير غير مسقوف مساحته من الداخل: (١ م × ١,٥ م) تقريباً.

أما القاعدة التى بني عليها فهو أساس متين وكأنه أساس غرفة مساحتها (٣×٤ م)، ومن المحتمل أن من أقامه شخص اسمه هارون، ومنه دخل الوهم في هارون أخي موسى عليهما السلام.

والوصول إلى هذا البناء شاق جدا فهو في أعلى قمة في جبل أحد وقد حاول بعض الناس تسهيل صعود من يأتي بعدهم بوضع أكوام من الأحجار علامة عند كل انعطاف للطريق يمينا أو يساراً، وقد وجدنا أثناء الطريق وعند القبة أيضاً كتابات شبيهة بالخط الكوفي لم نميز منها إلا لفظ الجلالة وكذلك جملة: محمد رسول الله ـــ ﷺ ـــ أما التواريخ فوجدنا إثنان: أحدهما: سنة ٩٩٣ هـ بتوقيع محمد على جرسخاني، جنوب غرب المبنى كتبت على صخرة ثابتة بخط جميل، واستغربنا من طريقة نحته الاسم على الصخرة وكأنه يكتب على ورقة لمحافظته على قاعدة الخط بميلان الأحرف وانسيابها.

وبمحض الصدفة وجدنا نفس الاسم والتاريخ عند شهداء بدر على صخرة بالقرب من الشهداء. أما التاريخ الثاني عام ١٣٤٢ هـ، وهو في شمال المبنى على صبخرة في الهاوية الخطرة ورسم الكاتب قبة ومنارة ولفظ الجلالة. ورغم المشقة الشديدة في الصعود إلى هذا المبنى إلا أن ذلك يزول بمجرد أن تلقى نظرة على المدينة وهي أسفل منك وقلبها النابض ـــ المسجد النبوى ـــ ومساكن المدينة وشوارعها من عير إلى أحد وإذا استدرت إلى الشمال تجد أسفل منك جبل ثور ـــ على أحد الأقوال ـــ وجبل وعيره وحرة النار وسد العاقول وأسواق الماشية وسوق الخردة وغير ذلك.

وبعد أن استمتعنا برحلتنا عدنا وكلنا يقين بأنه ليس ثمة قبر يوجد هناك.

(١) المدينة بين الماضي والحاضر: للعياشي ـــ ص ١٦.



صورة رقم (٤)
جزء من البناء المسمى (قبة هارون) في أعلى قمة في جبل أحـد
ويظهر من بعد حـرّة النار أمام سـد العاقول



صورة رقم (٥)
فوهة خزان ماء حفـر في الجبل عند قبة هارون
ويظهـر منظر المدينة من أحـد إلى عيـر .

الآثار المجاورة لأحد

* مسجد جبل أحد .
* جبل الرماة .
* وادي قناة .
* جبل ثور والتحقيق في تحديده .
* جبل تيأب .

مسجـــد جبــــل أحـــد

وهو مسجد صغير يقع أسفل الجبل، في طرف الشعب المؤدي إلى المهراس جنوب الغار الذي يبعد عنه (١٠٠ م) تقريباً. وقد وصله العمران الآن، وأصبح وسط المنازل الشعبية، وقد تهدم أكثره، ولم يبق إلا جزء بسيط منه، وقد أحسنت أمانة المدينة باحاطته بالسياج.

وقد روى ابن شبه أن النبي ﷺ في هذا المسجد قال: حدثنا أبو غسان، عن ابن أبي يحيى عن محمد بن إبراهيم عن رافع ابن خديج: أن النبي ﷺ في المسجد الصغير الذي بأحد في شعب الجرار(١) على يمينك لازقا بالجبل(٢).

وقد صلى النبي ﷺ الظهر والعصر بعد انتهاء المعركة(٣).

ويسمى هذا المسجد الفسح. قالوا(٤): وسبب التسمية أن المكان كان ضيق فازدحم الناس للصلاة فيه مع رسول الله ﷺ حتى لم يجد البعض مكانا يقف فيه للصلاة، فكانت هذه الحادثة سبباً في نزول قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾(٥)

وعندنا أن ذلك لا وجه له لأن الآية نزلت في مسجد الرسول ﷺ.

والصحيح في سبب نزول الآية، ما قاله مقاتل بن حيان: «أنها نزلت يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يؤمئذ في الصفّة، وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبي

---

(١) الجرار: جمع جر، وهو: أصل الجبل وسفحه، قال الشاعر: وقد قطعت واديا وجرا.
(٢) تاريخ المدينة المنورة — لابن شبه — جـ ١ — ص ٥٧.
(٣) عمدة الأخبار في مدينة المختار — للعباسي — ص ١٨٤.
(٤) أنظر على سبيل المثال: (أ) عمدة الأخبار في مدينة المختار للعباسي — ص ١٨٤.
(ب) الدر الثمين فى معالم دار الأمين — لمحمد غالي ص ١٧٨.
(٥) المجادلة (١١)

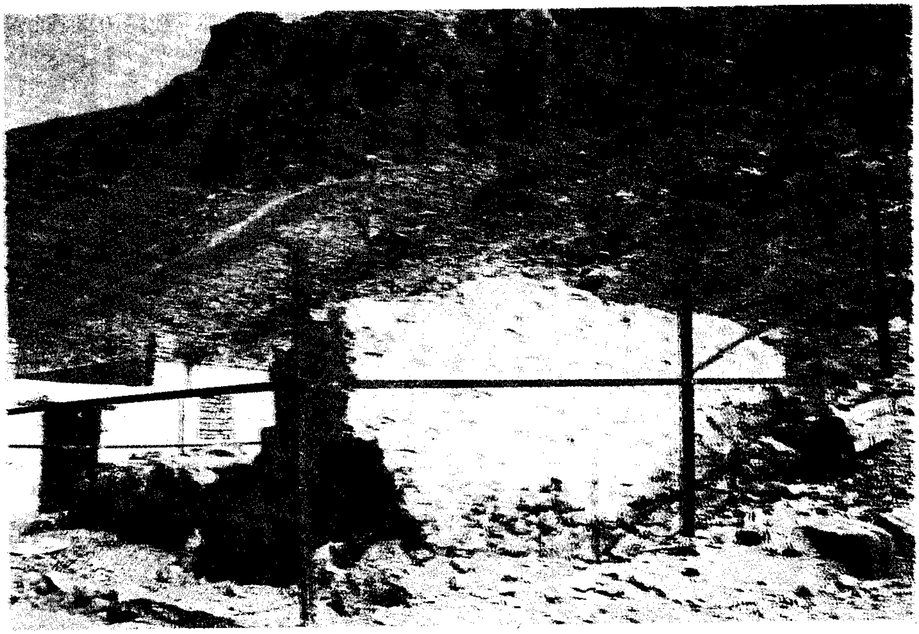
ورحمة الله وبركاته، فرد النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يُفْسَح لهم، فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قم يا فلان، وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فقال المنافقون: ألستم تزعمون أنّ صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء، إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه، فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلاً يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً فيفسح القوم لإخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة»(١).

وأيضا: إن المكان الذي صلى فيه الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم لم يكن ضيقاً، بل هو شعب بكامله، يوجد به حالياً حي سكني، ولم يكن المسجد مشيداً من قبل حتى يقال إن المسجد ضاق بالمصلين.

وعلى بعد أمتار من هذا المسجد جهة القبلة موضع منقور في صخرة من الجبل على قدر رأس الإنسان تسمى صخرة الطاقية، يقال: أن النبي ﷺ جلس تحتها، ولم ترد نصوص تؤيد هذا القول فلا نجزم بذلك.

---

(٢) رواه ابن أبي حاتم. أنظر: (أ) تفسير القرآن العظيم ــ لابن كثير ــ جـ ٤ ــ ص ٣٤٧.
(ب) سبب النزول ــ للواحدي ــ ص ٢٣٤.



صورة رقم (٦)

جزء من مسجد جبل أحد المسمّى (الفسح) الذي ذكر بعض الرواة أن النبي ﷺ صلّى مكانه بعد انتهاء المعركة. ولم يثبت لدينا تخصيص هذا المكان للصلاة فيه.



صورة رقم (٧)

المسجد من جهته الجنوبية ويظهر (الغار) ميسرة الجبل.

جبـــل الرمـــاة (عينيـن)

يقـع هـذا الجبــل أمـام ضريح شهداء أحــد من الناحية الجنوبيـة وعلى طريق وادي قنــاة من الناحيتين الغربية والشمالية[1]، ويظهر شكل الجبل حالياً صغير الحجم ولكنه فى حقيقته أكبر من ذلك بكثير ولكنه ردم من جميع جهاته لتسوية الساحات المحيطة به لتستوعب كثرة السيارات في مواسم الحج.

وكان في ركنه الشرقي مسجـد وعليه منازل شعبية قديمة قامت أمانة المدينة بإزالتها وأحسنت في ذلك ليكون أكثر وضوحا وأجمل منظراً. وتم وضع سياج حديدي حوله للحفاظ عليه وإبقائه نظيفاً.

ويسمى هذا الجبل بجبل (عينين) تثنية عين.

قال الأندلسي: (وجبل عينين بأحد، وهو الذي قام عليه إبليس يوم أحـد، فنادي: ألا إن محمدا قد قتل (صلى الله على محمد) وفي هذا الجبل أقام رسول الله ﷺ الرماة يوم أحـد)[2].

أما الاسـم الذي اشتهر به فهـو (الرّماه) نسبة إلى الرمـاة الذين أوقفهم الرسول ﷺ يوم أحد وعيّن عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لكي ينضحوا عنه الخيل فانها لا تصمد للنبل.

---

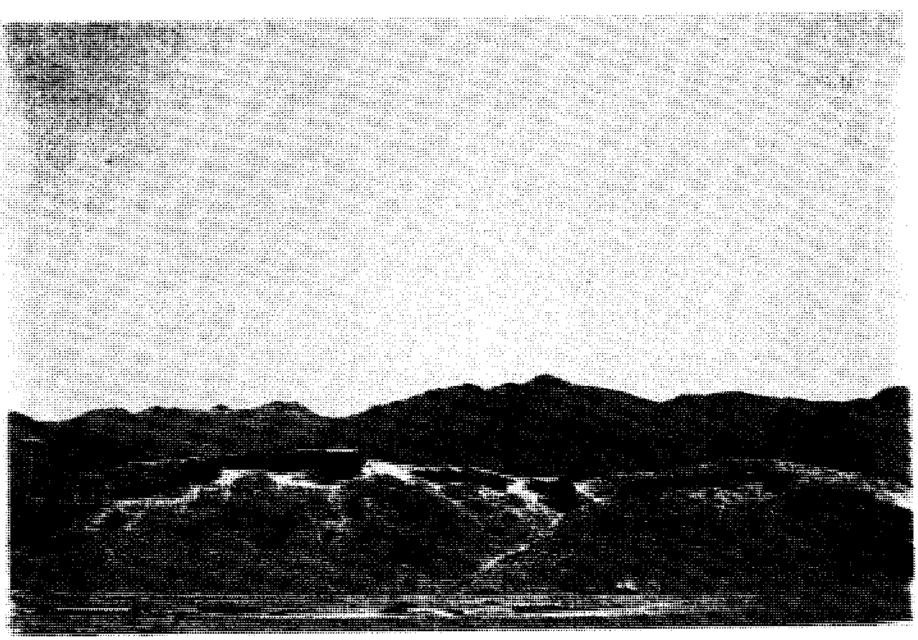
(١) ذكر عبد القدوس الأنصاري ــ رحمه الله ــ أن الوادي يفصل بين الضريح والجبل وهذا صحيح، فلقد كان للوادي ممرين: أحدهما: يفصل بين الجبل والضريح، والثاني: وهو الأكبر يمر من شرق وجنوب الجبل، ولكن حُوّل المجرى الأول مع الثاني وردم مجراه لتتسع المساحة أماما الضريح للزوار.

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ــ للأندلسي ــ جـ ٤ ــ ص ٩٨٧.



صورة رقم (٨)

جبل الرماة (عينين) من جهته الغربية ويظهر خلفه جزء من جبل أحد



صورة رقم (٩)

جبل الرماة (عينين) من جهته الجنوبية ويظهر خلفه جبل أحـد.

وادي قنـــاة

القنـاة: هي آبـار تحفـر ويخـرق تحـت الأرض بعضهـا إلى بعض ويجـري فيهـا المـاء، حتى يظهـر على وجـه الأرض.

ووادي قنـاة: واد شمـال المدينـة يبعـد عنهـا بخمسـة كيلو مترات بين أحـد والمدينـة، يقـع أحـد والشهـداء والرمـاة شماله، والمدينـة جنوبه. وقيل بأن سبب تسميته بقناة أن تبّعا مرّ به فقال: هذه قناة الأرض [1].

ومصدر سيل الوادي قناة من (وج بالطائف) وتنظم إليه وديان فرعية حتى يصب في سد العاقول شمال شرق المدينة، ثم يسيل محاذيا لجبل أحـد من شرقه، ويتجه غرباً محاذيا أحـد من جنوبه ويمر بجبل الرماة، وكان جبل الرماة يقسمه إلى قسمين.

احدهما: يفصل بين الشهداء وجبل الرماة.

والآخر: يحاذي الرماة من الشرق والجنوب، ولكن حُوِّل المجري الأول مع الثاني لتتسع المساحة لزوار الشهداء أثناء المواسم.

ويستمر في اتجاهه غربا حتى يقطع طريق العيون ثم يتجه شمالا محاذيا أحـد من غربه. ويجتمع في هذه النقطة بوادي العقيق وتسمى منطقة التقائهما (زغابة) [2] ويضيق الوادي حاليا في هذه المنطقة نظراً لكثرة المزارع على جانبيه. ويمر بمنطقة الخليل ويصعب في سد الغاب، ومن هناك تبدأ تسميته بوادي الحمض.

(وقد طغى السيل فى أواخر القرن السابع الهجري عام ٦٩٠ هـ وفي أوائل القرن الثامن من عام ٧٣٤ هـ أربع مرات بصفة عظيمة هلع منها الناس وخافوا من فيضانه على المدينة وإغراقها ولكن الله سلم) [3].

---

(١) تاريخ المدينة ــ لابن شبه ــ جـ ١ ــ ص ١٧٢. ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ــ للسمهودي ــ جـ ٣ ــ ص (١٠٧٤).

(٢) مكان تجمع السيول غرب أحد نزلت فيه قريش في غزوة الخندق وهو الآن منطقـة زراعية تكثر فيها المزارع ويسير الوادي بوسطها.

(٣) آثار المدينة المنورة: لعبد القدوس الأنصاري ــ ص ٢٣٣.

وقد أخبرني والدي[1] أمد الله في عمره وبارك فيه: أن سيل الوادي طغى في عام ١٣٨٢ هـ تقريبا، ونزح من كان حول الوادي مبتعدين عن خطره وكان هو مع من نزح بعيداً عن الوادي حتى استقر وضع السيل.

وعندما كنت في المرحلة الابتدائية كانت الدراسة تتعطل مدة جريان السيل نظرا لعدم استطاعة مدرسينا العبور إلينا وكانوا يحضرون من المدينة وذلك قبل إنشاء جسر عبور السيارات.

وقد ذكر محمد غالي رحمه الله بأن اسم الوادي شظاة وأن قناة: هو الوادي الذي يفصل بين الشهداء وجبل الرماة[2].

ولكن في الحقيقة أن الذي يفصل بين الشهداء والرماة هو جزء صغير من الوادي الأساس (قناة)، وقسمه جبل الرماة إلى قسمين قديما أما الآن فلقد حول المجرى الصغير مع الأساس كما تقدم.

وذكر السمهودي والعياشي رحمهما الله بأن اسم الوادي (قناة) ولكنه يسمى عند السد[3] الذي أحدثته نار الحرة بـ (الشظاة)[4] ويؤيد قولهما قول الشاعر:

(فانك عمري لو رأيت ظعائنا   سلكن على ركن الشظاة فتيأبا)

وتياب هو جبل الخزان — طريق المطار.

وتمر على الوادي عدة طرق شيدت لها الجسور التالية:

١ — جسر دوّار المطار.
٢ — جسر طريق المطار.
٣ — جسر الخط الدائري.
٤ — جسر طريق الشهداء.
٥ — جسر طريق العيون.
٦ — جسر طريق غير المسلمين شمال غربي أحد.

---

(١) الحديث لسعود الصاعدي.
(٢) الدر الثمين في معالم دار الأمين — لمحمد غالي — ص ١٥٨.
(٣) يقصد سد العاقول.
(٤) المدينة بين الماضي والحاضر — للعياشي — ص ٤٩٠. ووفاء الوفاء باخبار دار المصطفي — للسمهودي جـ ٣ ص ١٠٧٤.

وقد ورد ذكر هذا الوادي في أشعار العرب من ذلك: قول أبي صخر الهذلي[1]:

قضاعية الأنساب، أدنى محلها قناة، وأنّى من قناة المحصب؟

وقال النعمان بن بشير[2] وقد ولي اليمن يخاطب زوجته:

أني تذكرها، وغمرة دونها هيهات بطن قناة من برهوت!
كم دون بطن قناة من متلدد للناظرين وبربخ[3] مروت

(١) المغانم المطابة في معالم طابة: للفيروز أبادي — ص ٣٥١.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٥٢.

(٣) البربخ: منفذ الماء ومجراه.

جبـــل ثــور بين المثبتين والنافين

لقد طال النقاش حول جبل ثور، ما بين ناف ومثبت، ومتردد تتلخص أقوال العلماء في تحديد المدينة بما يأتي :

١ ــ إثبات حدود المدينة الشرقية والغربية . وحددت باللابتين (الحرتين) الشرقية والغربية (ولا يعرف لذلك مخالف) .

٢ ــ إنكار حدود المدينة الشمالية والجنوبية، المحددة ببعض الأحاديث، بعير وثور . منهم مصعب الزبيري، وابن الأثير على رواية .

٣ ــ إثبات حد المدينة الجنوبي وهو عير، وإبهام الثاني . وقيل هذا رأى البخاري . وذلك أن البخاري أبهمه عمدا لما وقع عنده أنه وهم . وسوف نحقق رأى البخاري لاحقاً (١) .

٤ ــ إثبات حد المدينة الجنوبي بعير، وحده المدينة الشمالي بأحـد . (وإنكار أن هناك جبلا يسمى ثوراً بالمدينة، وإنما ثور بمكة) ويرى أن أصل الحديث هو : « ما بين عير إلى أحد » وهذا نهج « أبو عبيد » وابن الأثير على رواية .

والمثبتون لحد المدينة الجنوبي : بعير، وحدها الشمالي : بثور وهو رأى كثير من العلماء . استدلوا بما ثبت عند البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم .

روى مسلم عن علي بن أبي طالب أنه قال : « من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة « قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه » فقد كذب، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات وفيها قال النبي ﷺ حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... » الحديث (٢) .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ــ وأما قول ابن التين أن البخاري أبهم اسم الجبل عمداً لأنه غلط فهو غلط منه بل ابهامه من بعض رواته، فقد أخرجه في الجزية فسماه، والله أعلم . فتح الباري ــ جـ ٤ ــ ص ٩٩ .

(٢) رواه البخاري، فتح الباري، جـ ٤، ص ٩٧، حديث رقم ١٨٧٠ . ورواه مسلم : صحيح مسلم بشـرح النـووي ــ جـ ٩، ص ١٤٢ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال المحب الطبري في «الأحكام» بعد حكاية كلام أبي عبيد ومن تبعه: قد أخبرني الثقة العلم أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب ــ أي العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال ــ فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور، وتواردوا على ذلك.قال فعلمنا أن ذكر ثور في الحديث صحيح، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه، قال: وهذه فائدة جليلة انتهى.

وقرأت بخط شيخ شيوخنا القطب الحلبي في شرحه: حكى لنا شيخنا الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري أنه خرج رسولا إلى العراق فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل وكان يذكر له الأماكن والجبال، قال: فلما وصلنا إلى أحد إذا بقربه جبل صغير، فسألته عنه فقال: هذا يسمى ثوراً. قال: فعلمت صحة الرواية. قلت: وكأن هذا كان مبدأ سؤاله عن ذلك.

وذكر شيخنا أبو بكر بن حسين المراغي نزيل المدينة في مختصره لأخبار المدينة أن أهل المدينة ينقلون عن سلفهم أن خلف أحد من جهة الشمال جبلا صغيراً إلى الحمرة بتدوير يسمى ثوراً، قال: وقد تحققته بالمشاهدة(١).

---

(١) فتح الباري ــ جـ ٤، ص ٩٩.

قال مجد الدين الفيروز ابادي «ولا أدري كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات وهم في الحديث الصحيح المتفق على صحته بمجرد دعوى أن أهل المدينة لا يعرفون بها جبلا يسمى ثوراً.

وغاية مثال هؤلاء القائلين أنهم سألوا جماعة من أهل المدينة ــ أو لا يلزم أن يكون كلهم ــ بعد مضي عصور متطاولة وسنين متكاثرة فلم يعرفوه.والعلم القطعي حاصل من طريق العيان المشاهد، لطروق التغير والأختلاف والنسيان على اسماء الأمكنة والبلدان باعتبار أسباب تحدث، وأمور تتجدد فيلقب ذلك المكان باعتبار ما تجدد فيه ويهجر الاسم القديم الأصلي، ويترك العلم الموضوع الأول نسيا. أنظر المغانم المطابة في معالم طابة: ص ٨٢، ٨٣ فقد أطال الرد على من أنكر وجود جبل ثور في المدينة فمن أراد التوسع في هذا المقام فليرجع إليه ففيه كلام نفيس للمؤلف رحمه الله.

حـــرم المدينـــة

وتحديد النبي ﷺ بعير وثور إنما هو للجهة الشمالية والجنوبية ، وأما من حيث الجهة الشرقية والغربية فقد حددها رسول الله ﷺ وحرّم ما بين لابتيها على لسانه . وذلك لما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « حُرّم ما بين لابتي المدينة على لساني ... »(١) .

تحريـــم المدينـــة

وقع في بعض الروايات « ما بين لابتيها » واللابتان : تثنية لابة وهي الأرض الملبسة حجارة سوداء ، وللمدينة لابتان شرقية وغربية ، ويقال لابة ولوبة ونوبة بالنون ثلاث لغات مشهورات وجمع اللابة في القلة لابات وفي الكثرة لِاب ولوب

ووقع في بعض الروايات « ما بين جبليها » فظن البعض أن هناك اضطرابا في الحديث لأنه وقع في رواية ما بين جبليها وفي رواية ما بين لابتيها وفي رواية مأزميها .

قال الحافظ : « وتعقب (أي القول بالاضطراب) بأن الجمع بينهما واضح وبمثل هذا لا نرد الأحاديث الصحيحة ، فإن الجمع لو تعذر أمكن الترجيح ، ولا شك أن رواية « ما بين لابتيها » أرجح لتوارد الرواة عليها ، ورواية جبليها لا تنافيها فيكون عند كل لابة جبل ، أو لابتيها من جهة الجنوب والشمال وجبليها من جهة المشرق والمغرب ... إلخ(٢) .

---

(١) رواه البخاري : أنظر الفتح — جـ ٤ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) الفتح . جـ ٤ ص ١٠٧ .

وهنا لابد من القول إن الروايات كلها قوية ووردت في الصحيحين ، وثانيا أنها ليست متعارضة ، فتحريمه ﷺ ما بين لابتيها إنما هو بيان لحرمتها من جهتي الشرق والغرب ، وأما تحريمه ما بين عير وثور فبين فيه حد الحرمة من جهتي الشمال والجنوب ، وأما قوله « وجبليها من جهة الشرق والغرب » فعندنا فيه غرابة لأنه من المعروف أن جهة الشرق وجهة الغرب توجد حرتان هما اللتان تحدان المدينه من هاتين الجهتين ، وهكذا فسرها أهل العلم الحافظ نفسه فسرها بذلك وحِدّ المدينة من جهة الشرق والغرب بالحرتين فقال شارحاً لقوله ﷺ « ما بين لابتيها — أى المدينة — حرام » لأن المراد بذلك المدينة لأنها بين لابتين شرقية وغربية ، ولها لابتان أيضا من الجانبين الآخرين إلا أنهما يرجعان إلى الأولين لاتصالهما بهما . الفتح جـ ٤ ، ص ١٠٧ .

(جبـــل ثور وموقعــه المظنــون)

بعد إثبات وجود جبل ثور أنه حـد المدينة الشمالي هناك نقطة خلاف بين المثبتين حول تحديد مكان هذا الجبل وتتلخص أقوالهم في الآتي : —

القول الأول : أنه جبل الخزان على طريق المطار، وذلك عند الانتهاء من جبل أحـد من جهة الشرق ، وهو معروف اليوم بجبل الخزان ، وسابقاً تيأب . وهذا الذي رجحه العياشي رحمه الله في كتابه المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ٤٩٥ .

ولا ندرى ما مستند هؤلاء الذين رجحوا كون ثور هو هذا الجبل الذي أشرت إليه ، ونستبعد أن يكون هو لما يأتي :

١ ـــ قوله ﷺ ما بين لابتيها حـرام(١) وقوله عليه الصلاة والسلام : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور »(٢) .

ومن المعلوم أن الحرتين تمثلان الشرق والغرب ، وعير وثور يمثلان الجنوب والشمال . ونقول هنا : هل ثور الذي وصفوه يمثل شمال المدينة ؟! .

٢ ـــ الذين وصفوا ثورا وهم العمدة عندنا ، قالوا في وصفه : أن حذاء أحد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور . فجبل الخزان هذا ، قد يكون يسار أحد ولكن يستبعد أن يكون وراءه . أنظر كلام المراغى السابق ، فهو بيت القصيد .

٣ ـــ تحديد المدينة إنما يكون من مركزها ووسطها وهو المسجد النبوي والمنطقة المجاورة له . فإذا ما نظرنا إلى جبل ثور الذي في طريق المطار على يمين المارّ من هناك نجد أنه لا يمثل شمال المدينة بل هو شرق المنطقة المركزية في المدينة (المسجد النبوي والمحيط به) مع ميل خفيف نحو الشمال ، وبهذا التحديد يجعل المنطقة الشمالية غير محددة أو قل غير منضبطة التحديد .

---

(١) رواه البخاري : فتح الباري ـــ جـ ٤، ص ١٠٧ حديث رقم ١٨٧٣ .

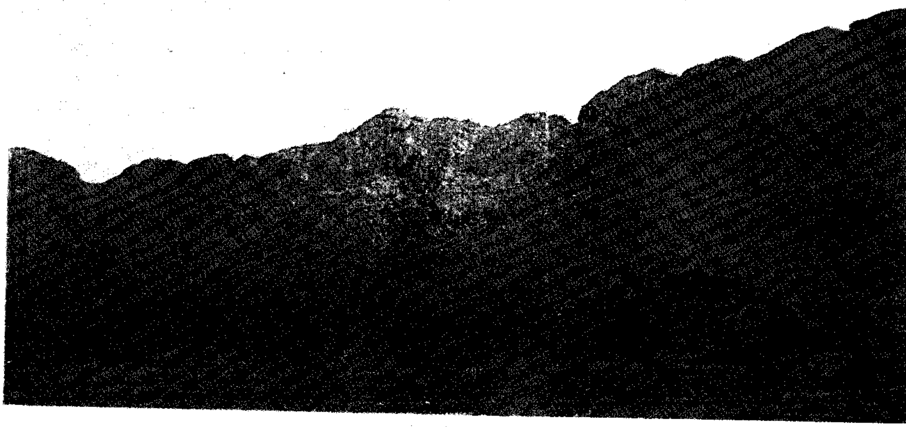
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ـــ جـ ٩، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

٤ــ جعل جبل الخزان المشار اليه سابقاً هو جبل ثور يخرج جانبا كبير من جبل أحـد ويجعله خارج المدينة.

٥ــ ورد في الشعر بعد خروج بنى النضير أن أسمه (تيأب) وليس (ثور) فلقد مروا بالجبل بعد أخراجهم فقال أحد المنافقين:

فإنك عمري لو رأيت ظغائنا ★ ★★ سلكن على ركن الشظاة فتيأبا[١].

(١) أنظر الأبيات في الدر الثمين ــ ص ٢٠١. والشظاة هو: وادي قناة بمحاذاة الحرّة على قول السمهودي والعياشي وقد نسبت الأبيات إلى عباس بن مرداس ــ ابن الشاعرة الخنساء ــ والله أعلم.



صورة رقم (١٠)

جبل ثور على أحد الأقوال ـــ الثاني ـــ من جهته الغربية الشمالية ملاصق لأحـــد من شماله ولكنه غير متصـــل بـه

صورة رقم (١١)

نفس الجبل من قمة جبل أحـد ويظهر انفصاله عن أحـــد .

القول الثاني: أنه جبل صغير خلف أحد من الناحية الشمالية يبعد عن ركن أحد الشمالي الغربي بمسافة أربعة كيلو مترات من الإشارة الضوئية على يمين المتجه إلى الشرق يظن من يراه أنه ملاصق لأحد ولكنه منفصلاً عنه. ومن أدلة من قال بهذا القول وصفه بأنه كالثور وأنه خلف أحد من جهته الشمالية بينه وبين جبل وعيرة.

ونستبعد أن يكون هذا الجبل ثور لأن الواقف على هذا الجبل إذا نظر باتجاه الغرب يجد أن جزءاً من جبل أحد قد خرج عن موازاته فهو إذا لا يدخل كامل محيط أحد في حرم المدينة.

القول الثالث: أنه الجبل الملاصق لأحد من ناحيته الشمالية الغربية على يمين المتجه إلى طريق المطار إذا انحرف باتجاه الشرق من طريق العيون وسار على طريق غير المسلمين. ومن أدلتهم الوصف بأنه كالثور وأنه شمال أحد وهذا لا يمكن أن يكون جبل ثور لأنه جزء من جبل أحد غير منفصل عنه.

القول الرابع وهذا القول عليه أغلب أهل العلم المعاصرين ومنهم فضيلة الشيخ: عمر محمد فلاته الذي قمنا بزيارته بهدف معرفة مكان تحديدهم لجبل ثور وعلى أي أساس بنوا رأيهم في ذلك. واستقبلنا فضيلته بصدر رحب أمد الله في عمره ونفع بعلمه أبناء المسلمين، وبعد أن شجعنا على البحث والكتابة ذكر لنا مكان الجبل وأنه الجبل الصغير الواقع على طريق مزارع الخليل شمال مشروع تنقية مياه الصرف الصحي، على بعد (١٦٠٠ م) من الإشارة الضوئية تقاطع طريق العيون مع طريق غير المسلمين، ويوجد في سفحه مقبرة صغيرة مسورة ومنشأ هذا القول أنه اتضح أن أهالي المنطقة من قبيلة (ولد محمد) يتناقلون اسم جبل ثور خلفاً عن سلف فتم معاينة الجبل ووجد أنه بالفعل قد يكون هو جبل ثور لما يلي: —

١ — أنه يقع شمال أحد كما جاء في وصفه، وتحديده بشمال المدينة تحديداً أقوى من بقية الجبال المذكورة.

٢ — أنه يوازي جبل عير تماماً ومن علا قمته ونظر إلى عير تأكد من ذلك.

٣ ــ أنه يدخل كامل محيط أحد ضمن حرم المدينة.

٤ ــ أنه يشبه الثـور.

٥ ــ من المعلوم أن التحديد غالباً لا يكون إلّا بالشيء المعروف وهذا الجبل معروفاً منذ القدم فهو على قارعة الطريق المؤدي إلى العراق سابقاً وكأنه استخدم للمراقبة في السابق لوجود غرفة مدورة كبرج المراقبة.

ومع أن هذه الأدلة قد لا يسلم بها البعض لكثرة الجبال الواقعة شمال أحد وكون البعض منها يشبه الثور إلى حدٍ ما ــ ومنها الجبال المذكورة سابقاً ــ كما أن كونه على طريق العراق لا تقوم به حجة.

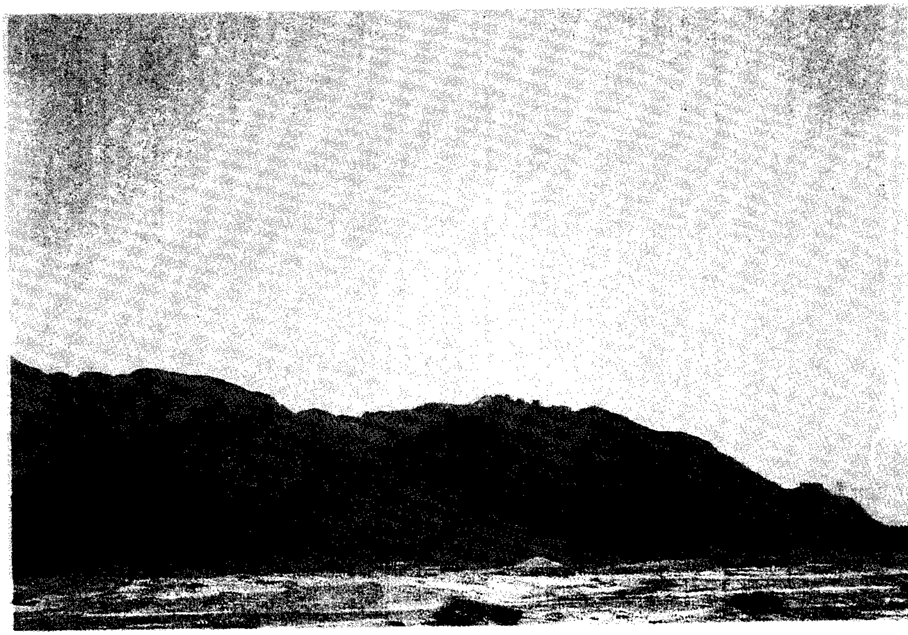
إلّا أننا نستأنس بهذا القول ونرجحه لا سيما وأنني[1] قد قمت بسؤال عدد كبير ممن أعرفهم من أهالي المنطقـة من قبيلة (ولد محمد) وأكدوا أن أسم هذا الجبل ثور وتواترت أقوالهم في ذلك، وذكروا أن وجود المقبرة التي في سفحه إنما هي لعلمهم بفضل المدينة وفضل الموت فيها وأن ثور حد المدينة من جهتهم ولذلك فهم ينقلون جنائزهم ــ وإن بعدت ــ حتى يجاوزوها ثور من جهة المدينة فيدفنون عنده أو غيرها من المقابر الموجودة داخل حرم المدينة كمقبرة (عين باني) في زغابه وغيرها.

وكما هو معلوم بأن الأجيال السابقة قد حفظوا لنا مكان أرض الزبير إلى يومنا هذا وهي معروفة بجوار هذا الجبل.

إذاً فلماذا لا نستأنس بقول الأجيال التي توارثت سكنى هذه المنطقة بأن اسم الجبل المذكور ثور؟

---

(١) ــ الكلام ليوسـف المحمدي.



صـورة رقم ١٢

جبل ثور على القول الراجح من ناحيته الشمالية ويظهر جنوبه جبل أحـد.



صـورة رقم ١٣

جبل ثور من الناحية الجنوبية ويظهر خلفه جزء من أرض الزبير.

«جبـــل تيـــأب»

هو جبل أحمر صغير يقع شرق جبل أحد، ويفصل بينهما طريق المطار وقد أزيل جزء منه لصالح الطريق، وعليه الآن خزان مياه لمصلحة مياة المدينة.

وقد نزلت غطفان في غزوة الخندق عند هذا الجبل، كما نزلت قريشا في زغابة، قرب بئر رومه، قال تعالى

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ (١).

من فوقكم: أى اليهود وغطفان، ومن أسفل منكم: أى قريش.

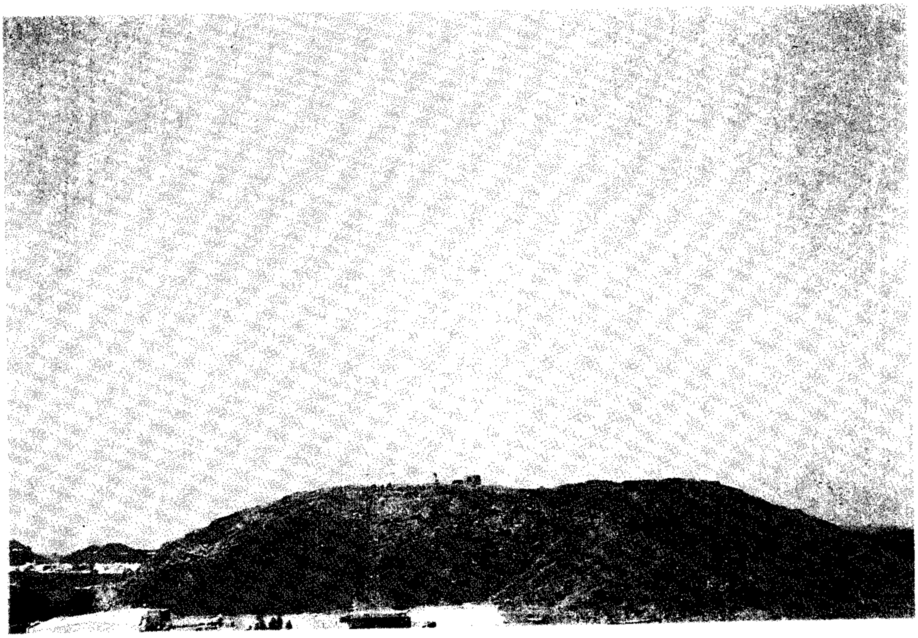
(ويسمى هذا الجبل أيضاً ثيبا، وتيبا)(٢).

وقد ظنه جماعة — منهم العياشي رحمه الله — بأنه جبل ثور، ولا ندرى على أى أساس استندوا. وعندنا أنه ليس بثور، لأسباب ذكرناها في «التحقيق في جبل ثـور».

---

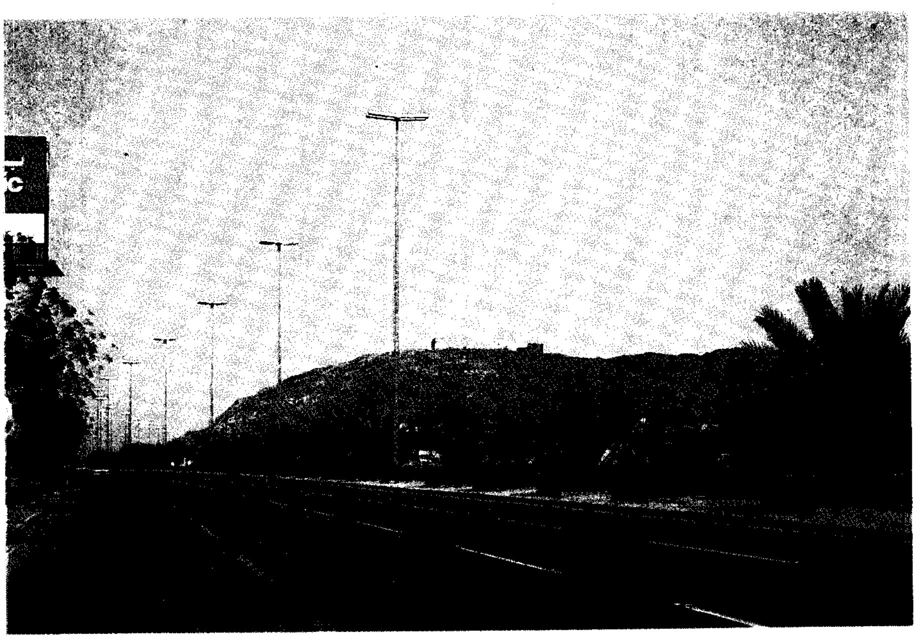
(١) الأحزاب: (١٠).

(٢) الدر الثمين في معالم دار الأمين — لمحمد غالي — ص ٢٠٢.



صورة رقم (١٤)

جبل تيأب (جبل الخزان) ــ طريق المطار ــ شرق جبل أحد وعندنا أنه ليس بثور. ذُكر ضمن الأقوال في تعيين جبل ثور.



صورة رقم (١٥)

نفس الجبل السابق ويظهر طريق المطار النازل.

وقفـة مع الجهـاد الإسـلامي

وقفــة مع الجهــاد الإسلامي

نبعت أهمية الجهاد بذكره في القرآن الكريم والسنة المطهرة وقد وردت الآيات الكثيرة التي ليس هنا مورد حصرها ولا انتفصيل فيها، ولكن يكفي أن نشير إلى بعض تلك الآيات الكريمة التي رغبت في الجهاد لإعلاء كلمة الله، وفي نفس الوقت رهبت من إهمال هذه الفريضة الباقية إلى قيام الساعة.

ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٤.

(٢) سورة البقرة : ٢١٨.

(٣) سورة البقرة : ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران ١٥٧ — ١٥٨.

(٥) سورة الصـف : ١٠ — ١٣.

ومن الأحاديث الواردة في فضل الجهاد في سبيل الله:

١) ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله»(١).

٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها»(٢).

٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»(٣).

٤) عن أبي عيسى عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»(٤).

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على عظم هذه الفريضة العظيمة التى سارع النبي ﷺ لتطبيقها وسارع أصحابه رضي الله عنهم على نهجه فجاهدوا معه وجاهدوا بعده؛ وذلك لمعرفتهم بأهمية هذه الفريضة التى لا ينبغي لها أن تموت في أي وقت ولا ينبغي التهاون فيها بتركها والتشاغل عنها فترك الجهاد سماه الله هلاكا، قال تعالي: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(٥).

ولقد شغل المسلمون أنفسهم بأمور لا فائدة منها، إن لم يكن الضرر فيها وهذا هو الحاصل، فشغلوا أو شاغلوا أنفسهم بالمقولة التى مضمونها: «هل الجهاد دفاع أم هجوم؟ فذهب فريق يؤيد الدفاع ويفند أدلة الآخرين، وذهب الآخرون على عكس ما قاله الأولون وطال النقاش النظري، الذي لم تحصل الفائدة

---

(١) رواه البخاري: جـ ٣، ص ٢٠٠، باب فضل الجهاد والسير، ومسلم بشرح النووي: جـ ١٣، ص ٣٣.

(٢) رواه البخاري: جـ ٣، ص ٢٠٢، باب الغدوة والروحه، ومسلم بشرح النووي: جـ ١٣، ص ٢٧.

(٣) رواه البخاري: جـ ٣، ص ٢٠٤، باب من يجرح في سبيل الله، مسلم بشرح النووي: جـ ١٣، ص ٢١.

(٤) رواه البخاري: جـ ٣، ص ٢٠٦، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله.

(٥) سورة البقرة: ١٩٥.

المرجوة من ورائه خاصة وأننا إذا علمنا أن مثل هذه الافكار إنما هي من طرح المستشرقين لفكرة الجهاد.

ومرة أخرى يطرح المستشرقون قضية انتشار الإسلام بالسيف.

نقول: الجهاد هو الجهاد لا نصفه بدفاع بحت ولا بهجوم بحت. أي: لا يقيد بهما. فالجهاد: ما شُرع إلّا لإعلاء كلمة الله وحماية لهذه الكلمة من العقبات التى تحاول القضاء عليها إن لم يكن ذلك فالمحاولة تنتقل لوقف انتشارها في أرض الله.

وأما قول المستشرقين في انتشار الإسلام بالسيف. فقد قال الشيخ عبد الرحمن الدوسرى — نور الله قبره —: «فيجب على المسلمين أن لا يتملصوا من قول بعض الأوربيين إن الدين الإسلامي قد انتشر بالسيف فإن هذا القول لا يضرّ جوهر الدين شيئا فإن المنصفين منهم يعلمون أنه قام بالدعوة والإقناع وأن السيف لم يجرد إلا لحماية التوحيد، وإنما التملص منه يضرّ المسلمين، لأنه يقعدهم عن نصرة الدين بالسيف، ويقودهم إلى التخاذل والتواكل، ويجمعهم على الاعتقاد بترك الوسائل، فيتجهون إلى الضعف كما هى حالتهم اليوم، وتبتلعهم الأمم القوية التى جعلت شعار تمدنها السيف أو القوة، وهذا ما يريده الطاعنون على الإسلام من بث الهزيمة النفسية حتى تنعكس حالتهم من غزاة محررين إلى مطموع بهم ومستعبدين»(١).

لقد جاهد رسول الله الله ﷺ في سبيل إعلاء كلمة الله وأوذي في سبيلها إيذاء كبيراً: أدميت قدماه وشج وجهه وكسرت رباعيته، ودخلت حلقتا المغفر في وجنته.

كل ذلك ينزل بأفضل الخلق طرّاً، ولا يثنيه ذلك كله عن الجهاد والاستمرار فيه حتى نصره الله وأعلى شانه، فرفعت راية لا إله إلا الله تعانق عنان السماء، ودحرت الوثنية التى تمثل الظلم والجور والجهل والفساد

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم: عبد الرحمن الدوسري — جـ ٣ — ص ٣٣٤ — ٣٣٥ «بتصرف».

والبغي ... إلخ. فانهارت أمام الجحافل الإسلامية التى استنارت بنور ربها، فطافت المشارق والمغارب، مرت بالسهول والأودية، بالهضاب والجبال، بالشمال والجنوب، تخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور السلطان إلى عدل الرحمن.

فهكذا كان جهاد نبينا محمد ﷺ وهكذا كان جهاد صحابة رسول الله ﷺ وهكذا ينبغي أن يكون جهادنا.

يقول عماد الدين خليل: «منذ لحظات الدعوة الأولى والإسلام يؤكد يوما بعد يوم استراتيجية (الانتشارية) صوب العالم، لقد جاء من أجل الإنسان في كل مكان وزمان (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) لم يقل لقريش وحدها، ولا لعرب الشمال وحدهم، ولا للأمة العربية وحدها. كما لم يقل للقرن السابع الميلادي أو العاشر أو العشرين. رحمة للعالمين على امتداد العالمين في الزمان والمكان: وصوت الإسلام، ومعطياته، وقناعاته تصل إلى الإنسان بالكلمة فتحدث معجزة الانتشار. ولكنْ ماذا لو وقفت في طريق التواصل هذه بين الكلمة والإنسان: عروش، وفراعنه، وطواغيت، وأصنام، وآلهة وأرباب، وقيادات ضالة، وزعامات جائرة، وسلطات كافرة فاجرة ...، تقطع الطريق على الدعاة، وتمنع الكلمة بقوة السلاح، وجبروت السلطة، أن تطرق سمع الإنسان وعقله، ووجدانه؛ لكي تكسر الريْن عن فؤاده وحسه وتعيده إلى الوفاق المفقود مع الكون والعالم والحياة، تعيده إلى الله حيث يتوجب أن تكون العودة إذا ما أريد للإنسان أن يستعيد وظيفته الأساسية في العالم تلك التى شرّفه بها الله وكرّمه، وفضله على العالمين. أبمقدور الكلمة حينذاك أن تخترق جدران الحديد والرعب والدكتاتورية والطغيان لكي تصافح الإنسان؟.

ومن أجل أن لا يكون الإسلام طوباويا يتحرك في الفضاء ويحلم بالعالم المؤمن المتوحد السعيد، كان الجهاد سعيا حركيا مسلحاً لتنفيذ عالمية الإسلام: بإسقاط كافة النظم الباغية والانقلاب على كافة الطواغيت والأرباب والسلطات الجائرة، وإزاحتها عن مراكز التحكم والقيادة، وإلغاء كافة

التشريعات الوضعية التي صممها ونفذها حفنة من المتألهين في الأرض. والتحقق بالبديل الوحيد لذلك كله: ألا يكون (فتنة) للإنسان وأن يكون الدين: المنهج والتشريع: لله».

ثم قال: «أي أن يحرر الإنسان من كافة الضغوط والمؤثرات التي يمارسها الطاغوت في العالم، وأن يسود تشريع عادل واحد، لا تحيز فيه أو ميل لسلطة أو طبقة أو جماعة أو فئة أو أمة... ذلك هو شرع الله»(١).

(١) تحليل للتاريخ الإسلامي إطار عام: لعماد الدين خليل — ص ٦٣ — ٦٤ «باختصار».

ملخص معركـة أحـد

١ ـ أسباب معركة أحد.
٢ ـ تنبيه يحسن ذكره.
٣ ـ الخطة العسكرية.
٤ ـ طريقه ﷺ إلى المعركة.
٥ ـ إلى الجنة يتسابقون.
٦ ـ سبب اختيار الموقع.
٧ ـ التخطيط للمعركة.
٨ ـ بين يدي المعركـة.
٩ ـ استعداد قريش للمعركـة.
١٠ ـ أبو عامر المنبوذ ومحاولته الفاشلة.
١١ ـ الرماة ومخالفـة قائدهـم.
١٢ ـ أحوال الصحابة بعد نزول الرمـاة.
١٣ ـ من أين دخل خالد بن الوليد على المسلمين؟
١٤ ـ حديث ابن عباس رضي الله عنهما وملخص المعركـة.

أسـباب معركـة أحـد

يكاد يتفق المؤرخون على أن سبب معركة أحد هو ما أصاب المشركين في غزوة بدر، تلكم الغزوة التي حقق فيها المسلمون نصراً مبيناً، انكسرت فيها شوكة المشركين وسقط جبروتهم وكبرياؤهم، وفقدوا أحبتهم وأخلاءهم بل وصناديدهم وكبراءهم، وترتب على ذلك أنه لما رجعوا إلى مكة بكلوم تثعب دما، وبقلوب يملؤها الحزن والأسى، صار البعض يحرّض البعض الآخر على الانتقام من النبي ﷺ وصحبه، فأعدوا العدّة لذلك وحصلت المعركة.

يقول ابن هشام(١).

لما أصيب يوم بدر فئة من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهّم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله ابن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينوا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.

قال الطبري(٢): فأجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحابيشها(٣)، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، وكل أولئك قد استعدوا على حرب رسول الله ﷺ.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: جـ ٣، ص ٨٧.

(٢) تاريخ الطبري: جـ ٢، ص ٥٨.
وانظر الكامل في التاريخ لابن الاثير: جـ ٢، ص ١٠٣.

(٣) الأحابيش: قيل هم بنو المصطلق وبنو الهون وخزيمة تحالفوا عند حبيش جبل بمكة فسموا أحابيش باسمه. وقيل هم من القارة (قبيلة) تحبشوا. أي: اجتمعوا فسموا الأحابيش بذلك. والتحبش هو التجمع.

تنبيـــه يحسـن ذكــره

هناك من علق على غزوة أحد، وخاصة في قضية طلب الشباب وبعض الصحابة الكبار من النبي ﷺ الخروج للقتال خارج مساكن المدينة «لا خارج المدينة» فيضعون ترتبات المعركة على رأي هؤلاء الشباب الذين تحمسوا للخروج، فكان ما كان من إصابة المسلمين بالجراحات وإصابة رسول الله ﷺ وقتل لكثير من الصحابة والتمثيل بهم... إلخ.

ونقول: ليس هناك نص صريح ولا مفهوم واضح يدلنا ويسوقنا إلى عتاب فكرة أولئك الشباب الذين تحمسوا للخروج، فكون النبي ﷺ أحب المكث في المدينة وقتالهم في المدينة فهذا كان مجرد رأي للنبي ﷺ وكان رأيا سديدا ولكنه لم يكن وحيا، يأمرهم به، وإلا لما كان لأحد من الصحابة أن يخالف أمره ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١).

وحديث بريرة ليس ببعيد عنا حينما جاء النبي ﷺ شافعا لمغيث، فقال عليه الصلاة والسلام لبريرة «لو راجعته؟» فقالت: تأمرني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إنما أنا شافع» قالت: فلا حاجة لي فيه(٢) فلو قال لها عليه الصلاة والسلام: آمرك. لراجعت زوجها مغيثا.

فدلنا هذا الحديث وعشرات الأحاديث الصحيحة والتي لا يتسع المقام للخوض والتفصيل فيها على أن السمع والطاعة كان نهج الصحابة مع رسول الله، وأما ما سمح فيه رسول الله ﷺ من إلقاء الكلمة وابداء الرأي فهذا لا يسمى تحمسا ولا استعجالا ولا مخالفة.

---

(١) الأحزاب: الآية (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري.

لقد عرف الجميع أن النصر فى أول المعركة كان للمسلمين ، حتى أن قريشا بخيلها ورجالها ولت مدبرة وهرب النساء يتسلقن أحدا فرارا من سيوف أُسْد الله .. فغنم المسلمون الغنائم الكثيرة التى خلفها المشركون خلفهم .. لقد كان النصر حليف المسلمين .. حتى حصل ما حصل من الرماة ، فجاءت الآيات تترى معاتبة الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ وأمر قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عن الجميع ، فأين الآيات والأحاديث بمنطوقها ومفهومها التى دلت على عتاب الذين أشاروا بالخروج؟! وسوف يأتي كيف كانت خطته ﷺ ناجحة أيّما نجاح في اختياره الموقع وتوزيع الجند وقيادة سير المعركة .

الخطـة العسكريـة

لما رأى رسول الله ﷺ عزم قريش على قتاله وتنفيذ عزمهم بالذهاب للمدينة لقتاله ﷺ ، هنا استشار ﷺ أصحابه في قتاله المشركين ، وكان رأيه البقاء داخل المدينة؛ وذلك أنهم [أي كفار قريش] إذا دخلوا المدينة قوتلوا ورموا من فوق البيوت ، وكان رأي فريق من الصحابة وخاصة الذين لم يشهدوا بدرا الخروج خارج مساكن المدينة لقتال المشركين وقالوا : «يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم» فلما رأى رسول الله ﷺ ما عليه هؤلاء الصحابة عزم على الخروج ولبس لأمته(١) بعد صلاته للجمعة ، وهنا ندم ذوو الرأي القائلون بالخروج خارج مساكن المدينة ، فقال عليه الصلاة والسلام:«ما كان لنبيٍّ إذا لبس لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل»(٢).

ومن خلال هذا العرض الموجز لمقدمة خطته عليه الصلاة والسلام فإنه يظهر جليا قوة القيادة النبوية وعمق فهمها لمجريات الأمور ، فظهرت شخصية القائد الذي كسر فيه الحاجز الذي قد يحجب كلمة الحق من أن تقال أو تسمع وخاصة فيما فيه مصلحة للجماعة المسلمة ، وطبق مبدأ الشورى الذي قال الله تعالى لنبيه حاضا إياه على هذا المبدأ: ﴿وشاورهم في الأمر﴾(٣) وقوله سبحانه : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾(٤) وظهرت دقة خطته عليه الصلاة والسلام باختياره المدينة كمسرح للعمليات (للقتال) وهذا ما يسمى اليوم بـ «مقاومة المدن» التي تعد من أنجع أساليب دفع العدو وقهره.

---

(١) اللامه: الدرع ــ القاموس المحيط: ص ١٤٩٢.

(٢) أخرجه أحمد وغيره والحديث صحيح قاله الألباني في هامش فقه السيرة : ص ٢٦٩.

(٣) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) الشوري: الآية ٣٨.

«تمثل مقاومة المدن الإسلامية للغزاة إحدى الحلقات المهمة والمثيرة في تاريخنا الإسلامي، حيث يلتقي الثبات على العقيدة والإيمان الفعال والتخطيط المدروس والقدرة على الاستجابة للتحديات بالتردد والخوف والخيانة والنكوص على صعيد واحد، وحيث يتحرك المؤمنون بعدالة قضيتهم كما أراد الله لرسوله أن يتحركوا لمجابهة الغزاة وكسر شوكتهم وتثبيت كلمة الله في الأرض.. إنها عرض مكثف مترع بالقيم والدلالات.. فهي على المستوى الحضاري صراع الحق ضد الباطل والنور ضد الظلام والتحضر ضد التخلف والإيمان ضد الكفر والإسلام ضد الجاهلية.. وهي على المستوى العسكري — السياسي — والاستراتيجي عموما، تغيير خطير لخرائط الصراع، وتوزيع جديد لمراكز القوى وقلب للموازين، كان يؤول في كثير من الأحيان إلى تحقيق نتائج حاسمة لصالح الوجود الإسلامي وكان رسول الله ﷺ يقدر بفهمه العسكري المعروف الحجم الحقيقي لمقاومة المدن والنتائج الحاسمة التي يمكن أن تتمخض عنها.. وهو عندما بلغته أنباء التحرك الوثني لسحق المسلمين قبيل معركة (أحد) سعى لأن يجابه الموقف الخطير باعتماد أسلوب (حرب المدن) وعرض على أصحابه أن يظلوا في المدينة، ويدعوا قريشا حيث نزلت «فإن قاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها» فكأنه ﷺ كان يريد أن يعتمد الخطة التي يسمونها اليوم (حرب الشوارع) أو (الأزقة والبيوت والحارات) فحيثما كان المهاجمون أكثر عددا من المدافعين كان الأجدر أن يحتمي هؤلاء داخل مدنهم كي يتمكنوا من إنزال ضرباتهم بالعدو الذي يجد نفسه مضطرا إلى التشتت في أنحاء المدينة التي لا يعرف الكثير من منعطفاتها وزواياها هذا فضلا عن أن قتالا كهذا سيتيح حتى للنساء والشيوخ والأطفال أن يشاركوا فيه(١).

(١) دراسات تاريخية: عماد الدين خليل، ص ٥، ٦.

طريقــه ﷺ إلى المعـركــة

سلك النبي ﷺ حرّة بني حارثة، وأبو خيثمة من بني حارثة يدل به.
ومضى رسول الله ﷺ حتى وصل إلى الشعب في عُدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ونهى عن القتال إلا بعد الأمـر به.

روى ابن هشام عن ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ سلك في مال لمربـع بن قيظي، وكان رجلًا منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حِسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: (لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر)[1] وقد بدر إليه سعد بن زيد، أخو بنى عبد الأشهل، قبل نهي رسول الله ﷺ عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه[2].

إلى الجنــة يتسابقون

في طريقه ﷺ إلى موقع المعركة وبالتحديد قرب أطمين سميا بشيخين، وذلك أنه كان يهودي ويهودية أعميان يقومان على الأطمين، فيتحدثان فلذلك سميا به، وهو فى طرف المدينة وعرض النبي ﷺ المقاتلة بالشيخين بعد المغرب فأجاز من أجاز ورد من رد، قال: وكان فيمن رد زيد بن ثابت وابن عمر، وأسيد بن حضير، والبراء بن عازب، وعرابة الأوسى، وهو الذي قال فيه الشماخ:

---

(١) رواه ابن اسحق معلقاً. ورواه الواقدى في مغازيه ـ جـ ١ ـ ص ٢١٨ ـ والطبري في تاريخه جـ ٢ ص ٥٦ من طريق ابن اسحق فيكون الحديث ضعيفاً.

(٢) السيرة النبوية ـ لابن هشام. جـ ٣ ـ ص ٩٤.

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى العلياء منقطع النظير
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

قال ابن جرير:

وردّ أبا سعيد الخدري وأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج، وكان رسول الله ﷺ، قد استصغر رافعاً، فقام على خفين له فيهما رقاع، وتطاول على أطراف أصابعه فلما رآه رسول الله ﷺ أجازه(١).

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ إنما أجاز رافعاً لأنه كان رامياً(٢).

قال ابن جرير حدثنا الحارث قال: حدثنا ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: كانت أم سمرة بن جندب تحت مُرَيّ بن سِنَان بن ثعلبه عمّ أبي سعيد الخدريّ، فكان ربيبه، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، وعرض أصحابه، فردّ من استصغر ردّ سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج، فقال سمرة بن جندب لربيبه مُرَيّ بن سنان يا أبت، أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني وأنا أصرع رافع بن خديج، فقال مُرَيّ بن سنان: يا رسول الله: رددت ابني، وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه! فقال النبي ﷺ لرافع وسمرة: تصارعا، فصرع سمرة رافعا، فأجازه رسول الله ﷺ **فشهدها مع المسلمين**(٣)

قال أبو شهبة معقبا على هذه القصة: «وما كان لنا أن نمر بهذا دون أن نشيد بأثر التربية الإسلامية آنذاك في نفوس الشباب وأنهم لم يكونوا أقلّ من الرجال حباً للجهاد وتضحية في سبيل العقيدة والمثل الإنسانية العالية، وبهؤلاء الشباب وأمثالهم انتصر الإسلام وعلا على كل الأديان، وكان المسلمون خير أمة أخرجت للناس، وعسى أن يكون لشبابنا في هؤلاء أسوة حسنة(٤).

---

(١) تاريخ الطبري — جـ ٢ — ص ٦١.
(٢) البداية والنهاية — جـ ٣ — ص ١٦.
(٣) تاريخ الطبري — جـ ٢ — ص ٦٠ — ٦١.
وانظر في ترجمة سمرة بن جندب:
» سير أعلام النبلاء — جـ ٣ — ص ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦
» أسد الغابة — جـ ٢ — ص ٣٠٢، ٣٠٣.
» الإصابة في تمييز الصحابة — جـ ٣ — ص ١٣٠.
(٤) السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة — جـ ٢ — ص ١٩٠.

سبب اختيار الموقع

وفي اختيار الموقع الذي نزل فيه رسول الله ﷺ يدل على فهمه للخطة العسكرية فهو عندما اسند ظهره لأحد وعن يمينه أيضا جزء كبير من الجبل وعن يساره حرة لا تطؤها الخيل أو مرتفعات ممتدة من الجبل أو يوجد نخل يغطي تلك المساحة ولا نظن وجود غير ذلك، فهذه الاحتمالات واحد منها يحجب تقدم المشركين بالإضافة إلى وضعه ﷺ الرماة في مكان بائن مرتفع يسهل عليهم رمي كل من اقترب أو يحاول أن يقترب من صفوف المسلمين. هنا تظهر براعته ﷺ في إحكامه الخطة العسكرية لأنه من المعروف أن المصادمة مع العدو حاصلة، ولكن كيف تصادمه وتجابهه؟ أعلى كل الثغرات والجوانب؟! أم على ثغرتين؟ أم على ثغرة واحدة؟ هذا أولا، ثانيا: الذكي والمخطط البارع المتقن لخطته هو الذي يجبر العدو على منازلته في المكان الذي يريده وهذا ما فعله ﷺ حيث أجبر قريشا على قتاله وهو متحصن بعدة جهات راسماً الخطة التى أرادها، مجبرا العدو للنزول في المكان الذي أراده.

التخطيط للمعركة

لما أصبح رسول الله ﷺ تعبأ للقتال وهو في سبعمائة، فرسم ﷺ الخطة المحكمة التي نبعت من فكر القائد الملهم، فجعل الرماة بقيادة عبد الله بن جبير رضي الله عنه وعددهم خمسون رامياً على جبل عينين(١)، وقال لهم: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا»(٢).

وفي هذا يشير عليه الصلاة والسلام إلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين، أو كما يعبر الأصوليون عنه بقولهم «الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف» أو «يختار أهون الشرين» فهنا لو هزم المسلمون الذين يواجهون العدو فإنهم سوف يتضررون من جهة المواجهة، وهي جهة يمكن التحكم فيها، وإعادة البناء للجيش من جديد حتى يواصل السير مرة أخري لمواجهة المشركين، أما إذا نزل الرماة فإنه يكون هناك ضرر كبير لا يمكن تداركه حيث إن الجبهات ستكثر على المسلمين ميمنة وميسرة من الأمام ومن الخلف، عندها تقع قاصمة الظهر على المسلمين، وهذا الذي حصل بالفعل فنزول الرماة تسبب بضرر كبير كان له أثره الذي ترتب عليه.

---

(١) جبل الرّماه.

(٢) فتح الباري — جـ ٧ — ص ٤٠٥، حديث رقم ٤٠٤٣.

بين يــدي المعركـــة

وصل أبو سفيان بجنده قريبا من جبل أحد مصطحبا ثلاثة آلاف رجل وامرأة واصطحبوا النساء؛ لئلا يفروا ويتركوا أعراضهم، وخرج رسول الله ﷺ بعد أن تقلد لآمته بألف من أصحابه، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ليصلي بمن جلس بالمدينة من أهل الأعذار.

وكان رسول الله ﷺ قد رأى رؤيا وهو بالمدينة: رأى أن في سيفه ثلمة ورأى بقرا تذبح وأنه أدخل يده في درع حصينة. فتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتأول الدرع بالمدينة (١).

وخرج النبي ﷺ في يوم الجمعة بعد الصلاة فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس مغاضبا لمخالفة رأيه في المقام. فتبعهم عبد الله بن عمرو ابن حرام والد جابر، وقال لهم: يا قوم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم (٢).

وقد همت بنو سَلِمة وبنو حارثة أن ترجعا ولكن ثبتهما.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «فينا نزلت: (إذْ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما) قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة، وبنو سلمة، وما نحبُّ. وقال سفيان مرّة — وما يسرّني — أنها لم تنزل، يقول الله: والله وليهما» (٣).

فسأل النبي ﷺ قومٌ من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود، فقال: «لا حاجة لنا فيهم» وفي سنده مقال.

---

(١) رواه البخاري — فتح الباري — جـ ١٢ — ص ٤٣٩.

(٢) تاريخ الطبري — جـ ٢ — ص ٦٠.

(٣) فتح الباري — جـ ٧ — ص ٤١٣ — حديث رقم ٤٠٥١
جـ ٨ — ص ٧١ — حديث رقم ٤٥٥٨.

استعداد قريش للمنازلة

صفّ المسلمون بأصل أحد، وصفّ المشركون بالسبخة وهم ثلاثة آلاف منهم سبعمائة دارع، ومئتا فرس والظعن خمس عشرة امرأة، وكان المسلمون سبعمائة منهم مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل شيء، ووقع عند الواقدي: كان معهم فرس لرسول الله ﷺ وفرس لابي بردة(١).

أبو سفيان والمحاولة الأخيرة:

أرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول لهم: خلو بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا إلى قتالكم. فردوا عليه بما يكره، وتعبأ المشركون لمّا رأوا هذه النتيجة، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل وكان لواؤهم مع بنى عبد الدار، فقال لهم أبو سفيان إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، فإما أن تكفونا وإما أن تخلوا بيننا وبين اللواء، يحرضهم بذلك، فقالوا: ستعلم إذا التقينا كيف نصنع؛ وذلك الذي أراده أبو سفيان(٢)

أبو عامر المنبوذ ومحاولته الفاشلة

للحق منار، لا يخالفه ويأباه إلا مكابر جاهل أو صاحب هوى ومن أولئك المتكبرين المتعالين الذين لم يقبلوا الحق وجعلوه وراء ظهورهم، أبو عامر الفاسق. وهذه قصته في غزوة أحد:

---

(١) فتح الباري ــ جـ ٧، ص ٤٠٥.

(٢) ــ ابن هشام ــ جـ ٣، ص ٩٨.

ــ البداية والنهاية ــ جـ ٨، ص ١٧.

ــ تاريخ الطبري ــ جـ ٢، ص ٦٤.

«قال ابن اسحاق حدثني عاصم بن قتادة أن أبا عامر عبد عمرو بن صَيفيّ ابن مالك بن النعمان، أحد بني ضُبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُباعداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاما من الأوس وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلًا وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبْدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر؛ قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق — وكان أبو عامر يسمّى في الجاهلية: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق — فلما سمع ردّهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتلهم قتالًا شديداً، ثم راضخهم بالحجارة(١).

وفي أبي عامر الفاسق وأتباعه نزل قوله تعالى

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ (٢).

الرمــاة ومخالفـة قائدهــم

عن البراء رضي الله عنه قال: «لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة وامّر عليهم عبد الله بن جبير — رضي الله عنه —وقال لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وأن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا. فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة. فقال عبد الله: عهد إليّ النبي ﷺ: أن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صُرِفَت وجوههم، فأصيب سبعون قتيلا ... «الحديث»(٣).

لقد خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ لأنهم خالفوا أمر قائدهم الذي أمرهم رسول الله بالمكث معه وتحت إمرته ولكنها المخالفة التى ترتب عليها الشيء

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام — جـ ٣ — ص ٩٨.
البداية والنهاية — جـ ٨ — ص ١٧.

(٢) التوبة — الآية ١٠٧.

(٣) فتح الباري — جـ ٧ — ص ٤٠٥ — حديث رقم ٤٠٤٣.

الكثير، الذي لم يكن في الحسبان، واختلت الموازين، وفتحت للمشركين ثغرة دخلوا منها وانتقموا من المسلمين بالقتل والتمثيل والإصابات التي ما سلم منها إلا القليل، حتى رسول الله ﷺ لم يسلم منها — فشج وجهه ودخلت حلقتا المغفر في وجنته وكسرت رباعيته السفلى وسقط في حفرة حفرها أبو عامر الفاسق.

قال الحافظ ابن حجر: —

١) وفيه (أي من الفوائد) شؤم ارتكاب النهي وأنه يعمّ ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ (١)

٢) ونستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها، والمبالغة في الطاعة، والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضاً: (وتلك الأيام نداولها بين الناس) — إلى أن قال — ﴿وليمحص الله الذين ءامنوا ويمحق الكفرين﴾ قال: ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على مآ أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ (٢).

أحوال الصحابة بعد نزول الرماة

وروى ابن اسحاق بإسناد حسن عن الزبير بن العوام قال: «مال الرماة يوم احد يريدون النهب فأُتينا من ورائنا، وصرخ صارخ ألا إن محمد قد قُتِل، فانكفأنا راجعين، وانكفأ القوم علينا» (٣).

وانقسم الصحابة إلى ثلاثة أقسام:

أ) فرقة انهزمت وولت إلى المدينة راجعة.

(١) الأنفال: (٢٥).

(٢) فتح الباري — جـ ٧ — ص ٤٠٩، وانظر صفوة الآثار والمفاهيم — جـ ٤ — ص ٣٤٥.

(٣) فتح الباري — جـ ٧، ص ٤١٧ والحديث رواه ابن اسحاق بسند حسن عن الزبير بن العوام — أنظر نفس المصدر والصفحة.

ب) فرقة صاروا حيارى لمّا سمعوا أن النبي ﷺ قُتِل فصار غاية الواحد منهم أن يَذُبّ عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يَقتل، وهم أكثر الصحابة.

جـ) فرقة ثبتت مع النبي ﷺ. ثم تراجع إليه القسم الثاني شيئاً فشيئاً لمّا عرفوا أ

الذين تولوا .. وعفا الله عنهم

ومن المعلوم بداهة أن الصحابة بشر ينتابهم ما ينتاب غيرهم من البشر مع أفضليتهم وعلو منزلتهم التى لا يجادل فيها إلا حاقد مكابر يريد هدم الدين والتنّقص والازدراء بهم.

ولأفضليتهم اختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم خير قرن ولذلك قال ﷺ: خيركم قرني...» الحديث. وقال ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه». انظر إلى هذين الحديثين وغيرهما كيف يصورا لنا المنهج الذي ينبغي أن يقفه كل مسلم نحوهم، وأنظر إلى جمال وروعة إضافة الأصحاب إليه .. «أصحابي» وكأنه يقول لنا من آذى أصحابي فقد آذاني، ومن قدّرهم وأحبّهم فذاك الذي أصاب سنتي (١).

والذين فرّوا يوم أحد لم يكن ذلك نفاقا ولا عنادا بل كان عارضا، وعفا الله عنهم أي بالاعتذار والندم لأن هذا الفرار لم يكن عن نفاق فعادت شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢)

---

(١) راجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـــ جـ ٧ و جـ ٨.

(٢) آل عمران: الآية: ١٥٥.

عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من مصر يحج البيت ، قال : فرأى قوما جلوسا ، فقال : من هؤلاء القوم؟ فقالوا: قريش ، قال : فمن الشيخ فيهم؟ قالوا:عبد الله بن عمر ، قال : يا ابن عمر ، إني سائلك عن شيء، أو أنشدك ، أو نشدتك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال : نعم ، قال : فتعلم أنه غاب عن بدر فلم يشهده؟ قال : نعـم ، قال : وتعلم أنه تغيّب عن بيعة الرضوان؟ قال : نعم ، قال : فكبّر المصري ، فقال ابن عمر تعال أبيّن لك ما سألتني عنه ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله قد عفا عنه وغفر له ، وأما تغيّبه عن بدر فإنه كانت تحته ابنة رسول الله ﷺ ، وإنها مرضت فقال له رسول الله ﷺ : لك أجر رجل شهد بدراً وسهمه ، وأما تغيّبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه ، بعث رسول الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان ، فضرب بها يده على يده ، وقال : هذه لعثمان ، قال : وقال ابن عمر : اذهب بذا الآن معـك !!(١) .

من أين دخـل خالــد على المسلميــن؟

دخل خالد على المسلمين عن طريق جبل الرماة بتصريح ابن عباس بذلك ، حيث كان خالد بن الوليد يراقب المعركة مبتعدا قليلا عن ساحتها جاعلا جبل الرماة أمامه أو عن يساره ، ولم يكن قريبا من هذا الجبل حيث كان واقفا حيث لا يصله الرمي ، ولكنه لما رأى ما حصل للمسلمين من نصر على مشركي قريش وذلك على ساحة المشاة مما أجبر المشركين على الهرب والتراجع جهة الخلف جهة إمتداد الوادي نحو الشمال حيث سرحت قريش فيها الظهر والكراع ، ثبت في مكانه منتظراً الفرصة للتدخل .

---

(١) رواه البخاري في الفتح جـ ٧ ، ص ٤٢١ حديث رقم ٤٠٦٦ ، ورواه أحمد في المسند جـ ٨ ، ص ١٠١ ، حديث رقم ٥٧٧٢ . واللفظ لأحمـد.

فلما رأى الرماة المسلمين قد اتجهوا نحو الغنائم منتصرين ، هنا ضعف بعض الرماة ومالوا إلى الغنيمة ، وتنازعوا فى الإقامة بالمركز ، فنزل أكثر الرماة مخالفين أمر رسول الله ﷺ ، وهذه اللحظة التى كان ينتظرها خالد بفارغ الصبر ، فهجم بخيله على الرماة وصعد الجبل (١) فقتل عبد الله بن جبير وأصحابه ودخل على ساحة القتال من خلف المسلمين حيث أن المسلمين تقدموا نحو ساحة المشركين كثيراً ، فلما رأى المشركون خالداً وجيشه من خلف المسلمين رفعت عمرة بنت علقمة الحارثية راية المشركين فعادوا للقتال مرة أخرى ، وصرخ إبليس لعنة الله عليه : أي عباد الله ، أخراكم. وذلك لما ترك الرماة مكانهم ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين .

وعن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما كان يوم أحد هزم المشركون فصرخ إبليس لعنة الله عليه : أي عباد الله ، أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : أى عباد الله ، أبي أبي . قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله مازالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله (٢) .

---

(١) قال ابن عباس « فلما أخلّ الرماة تلك الخلّة التي كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ » المسند — جـ ٤ — ص ٢٠٩ — « والحديث صحيح » .

(٢) فتح الباري — جـ ٧ — ص ٤١٨ — حديث رقم ٤٠٦٥ .

حديث ابن عباس وملخص المعركة

خرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة. فهل أحد منكم يعجله سيفي إلى الجنة أو يعجلني سيفه إلى النار؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب فضربه عليّ فقطع رجله فسقط وانكشفت عورته فناشده الله والرحم! فتركه وكبر رسول الله ﷺ، وقال لعلي: ما منعك أن تجهز عليه. قال: إنه ناشدني الله والرحم فاستحييتُ منه(١).

واشتدَّت المعركة وكان النصر حليفا للمسلمين في أولها.. واستمروا في ذلك حتى حصل من مخالفة الرماة أمر قائدهم وانقلبت الموازين وحصل ما يحكيه لنا ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: «ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد، قال: فأنكرنا ذلك! فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، إن الله عز وجل يقول في يوم أحد: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ ويقول ابن عباس: والحس القتل.. (حتىٰ إذا فشلتم) إلى قوله: ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فهم كذا — وشبك بين أصابع يديه — والتبسوا فلما أخلّ الرماة تلك الخلّة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه

---

(١) تاريخ الطبري — جـ ٢، ص ٦٢، ٦٣.

والكامل — جـ ٢ ص ١٠٦.

أول النهار، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، أنما كانوا تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمد، فلم يُشَكَّ فيه أنه حق، فمازلنا كذلك ما نشك أنه قد قتل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتكفئه إذا مشى، قال: ففرحنا [حتى] كأنه لم يصبنا ما أصابنا، قال: فرقى نحونا وهو يقول: اشتدَّ غضب الله على قوم دَمَّوا وجه رسوله، قال: ويقول مرة أخرى: اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا حتى انتهى إلينا، فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أعلُ هبل، مرتين، يعني آلهته، أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال بلى، قال: فلما قال: اعل هبل قال عمر: الله أعلى وأجل، قال: فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، أنه قد أنعمت عينها، فعاد عنها، أو فعلَ منها، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر، قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال، قال: فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا، ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلاكم مثلا، ولم يكن ذاك من رأي سَرَاتِنا، قال: ثم أدركته حمية الجاهلية، قال: فقال: أما إنه قد كان ذاك ولم نكرهه (١).

---

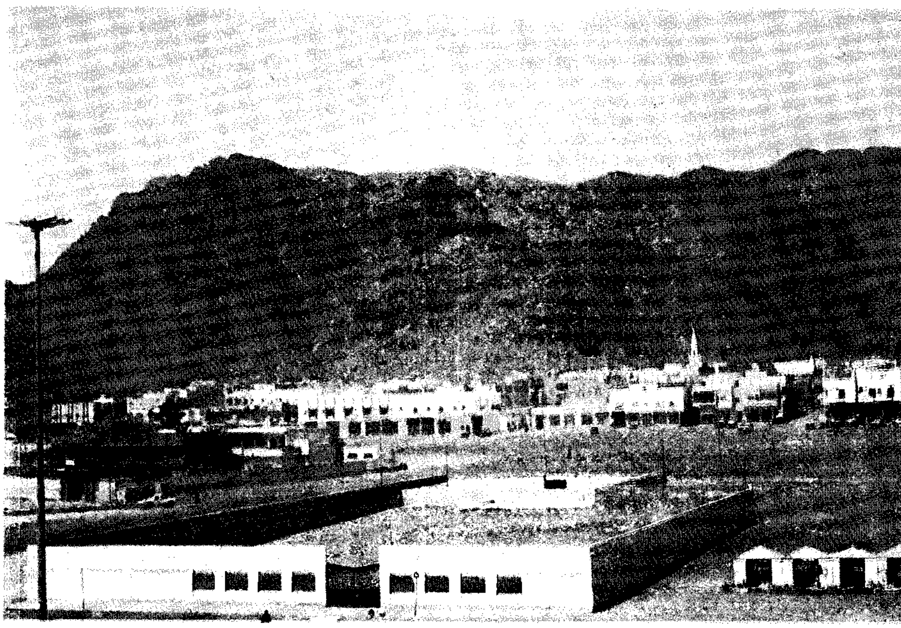
(١) المسند ــ جـ ٤، ص ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢.

حديث رقم ٢٦٠٩ قال عنه أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال: وفي لفظه ما يوهم أن ابن عباس شهد الواقعة وما كان ذلك قط، فإنه كان إذ ذاك طفلا مع أبيه بمكة. والظاهر عندي أنه حكاه عن واحد من الصحابة ممن شهد أحدا، ونسي بعض الرواة أن يذكر من حدث ابن عباس به حتى يقول في حديثه: «فما زلنا كذلك ما نشك أنه قد قتل... إلخ وأما سياق القصة في ذاتها فصحيح. له شواهد كثيرة في الصحاح. أشار ابن كثير إلى بعضها في التفسير والتاريخ. أ. هـ كلام العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

غريب المفردات:

ابن أبي كبشة: يريد النبي ﷺ.

أنعمت: قال ابن الأثير: «كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين فكتب على أحدهما «نعم» وعلى الآخر «لا» ثم يتقدم إلى الصنم ويجيل سهامه، فإن خرج سهم نعم أقدم، وإن خرج سهم لا امتنع، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل، فخرج له سهم الإنعام فذلك قوله لعمر أنعمت. فعال عنها، أي تجاف عنها، ولا تذكرها بسوء: يعني: آلهتهم، وقال أيضاً: «أنعمت فعاد عنها» أي: اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وأنعمت أي: أجابت بنعم انتهى نقل أحمد شاكر عن النهاية لابن الأثير. أنظر المسند جـ ٤، ص ٢١١.



صورة رقم ١٦

مقبرة شهداء أحد ـــ شمال جبل الرماة ـــ ويظهر في الصورة جبل أحد . ومدرسة حمزة بن عبد المطلب الابتدائية .

دروس وعبـر من المعركـــة

دروس وعبـــر من المعركـــة

لا ينبغي أن تمر الأحداث على المسلم بدون أن ينظر فيها بعين البصيرة ليستلهم منها العبر والفوائد والعظات حتى يسير على نهج قويم سديد ومن الأحداث التي مرت بالمسلمين ما حصل في غزوة أحد هذا الحدث الذي قد حوى بين طياته الدروس التي كان أولها نزول تلك الآيات التي في سورة آل عمران ترسم للصحابة ومن بعدهم منهجا يسيرون عليه إذا ما أرادوا العزة والعلو والتمكين في الأرض ولا نريد أن نطيل في هذه المقدمة التي نترك فيها المجال لبعض تلك الدروس المستفادة من هذه الغزوة :

فمـن هـذه الدروس :

(١) تعريف المسلمين بسوء عاقبة المعصية وشؤم إرتكاب النهي ، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول ﷺ أن لا يبرحوا منه .

(٢) إن عادة الرسل أن تبتلي وتكون لها العاقبة والحكمة في ذلك أنه لو كان النصر حليفهم دائما لدخل في المؤمنين من ليس منهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو إنكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب ، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين ، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم .

(٣) أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيّض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها .

(٤) أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم ليكونوا من خواصه المقربين من عباده .

(٥) ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ، ومحق بذلك الكافرين .

(٦) أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا إلى الدنيا ، وهذا مرض يعوقها عن الجد في سيرها إلى الله والدار الآخرة ، فإذا أراد الله أن يرحمها قيض من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لهذا المرض العائق عن السير الحثيث إليه .

(٧) استخراج الله عبودية أوليائه في السراء والضراء ، وتربيتهم على ذلك فيما يحبون ، وفيما يكرهون من الأحوال في حال ظفرهم وانكسارهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية في جميع أحوالهم ، كانوا عبيده حقا وليسوا ممن يعبد الله على حرف واحد من السراء ، فإن أصابته مصيبة أنقلب على وجهه والعياذ بالله .

(٨) قال سيد قطب رحمه الله بعد الآيات التى نزلت في غزوة أحد من الدروس والعبر : «ويُشعر أي ــ هذا الجزء من الآيات ــ الجماعة المسلمة أن ليس لها من أمر النصر شيء إنما هو تدبير الله لتنفيذ قدرته من خلال جهادها ، وأجرها هي على الله . وليس لهما من ثمار النصر شيء من أشياء هذه الأرض . لا لحسابها الخاص يؤتيها الله النصر إذا شاء وإنما لحساب الأهداف العليا التي شاءها الله . وكذلك الهزيمة فإنها حين تقع بنا على جريان سنة الله وفق ما يقع من الجماعة المسلمة من تقصير وتفريط ، إنما تقع لتحقيق غايات يقدرها الله بحكمته وعلمه ؛ لتمحيص النفوس وتمييز الصفوف ، وتجلية الحقائق ، وإقرار القيم وإقامة الموازين وجلاء السنن للمستبصرين .

(٩) ومن ثبات نسيبة أم عمارة ، ووقوفها وزوجها وأولادها حول رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون يوم أحد . دليل من الأدلة المتعددة على إسهام المرأة المسلمة بقسط كبير فى الكفاح في سبيل دعوة الرسل . وهو دليل على حاجتها اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد لتدعو إلى الله فى أوساط الفتيات والزوجات والأمهات ، ولتنشّىء في أطفالها حب الله ورسوله ، والاستمساك بالإسلام وتعاليمه والعمل لخير

المجتمع وصلاحه. ومادام ميدان الدعوة شاغرا من الفتاة المسلمة الداعية أو ... ممتلىء بالعدد الكافي منهن، فستظل الدعوة مقصرة في خطاها، وستظل حركة الإصلاح عرجاء حتى يسمع نصف الأمة وهن ـــ النساء ـــ دعوة الخير، ويستيقظ في ضمائرهن وقلوبهن حب الخير والإقدام على الدين والإسراع إلى الاستمساك بعروته الوثقى».

١٠) وفي إصابة رسول الله ﷺ بالجراح يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم بالسجن والاعتقال، أو قضاء على حياتهم بالإعدام والاغتيال، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ (١).

١١) ومنها أن مخالفة أمر القائد الحازم البصير يؤدي إلى خسارة المعركة. كما حصل في وقعة أحد، فلو أن رماة النبل الذين أقامهم رسول الله ﷺ خلف جيشه ثبتوا في مكانهم كما أمرهم الرسول ﷺ لما استطاع المشركون أن يلتفوا من حولهم ويقلبوا هزيمتهم أول المعركة إلى نصر في آخرها وكذلك يفعل العصيان في ضياع الفرص ونصر الأعداء وقد أنذر الله المؤمنين بالعذاب إن خالفوا أمر رسولهم فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ (٢).

١٢) ومنها أن ما فعله المشركون يوم أحد من التمثيل بقتلى المسلمين وخاصة حمزة عم الرسول ﷺ دليل واضح على خلو أعداء الإسلام من كل إنسانية وضمير، فالتمثيل بالقتل لا يؤلم القتيل نفسه، إذ الشاة المذبوحة لا تتألم من السلخ ولكنه دليل على الحقد الأسود الذي يملأ نفوسهم، فيتجلى في تلك الاعمال الوحشية التي يتألم منها كل ذي وجدان حي، وضمير إنساني.

---

(١) سورة العنكبوت: آية ١، ٢، ٣.

(٢) سورة النور: آية ٦٣.

١٣) ومنها أن ما حدث في أحد دليل على أن الرسل وأتباعهم قد تنالهم الهزيمة في بعض المواقف لخطاء أو لغير ذلك، ولكن العاقبة بالنصر لابد أن تكون لهم، وهذه هي سنة الله. ولن تجد لسنة الله تبديلا. وصدق الله:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ (١).

١٤) قال النووي رحمه الله في سياقه لإصابات النبي عليه الصلاة والسلام: وفي هذا وقوع الابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا جزيل الأجر لتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ويتأسوا بهم قال القاضي: وليُعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يفتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، وتلبيس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم(٢).

---

(١) سورة المجادلة : آية ٢١.
(٢) انظر في كل ما سبق ـــ بتصرف في بعضه : ـــ
(أ) فتح الباري: ابن حجر ـــ جـ ٧ ـــ ص ٤٠٢.
(ب) صحيح مسلم بشرح النووي ـــ جـ ١٢ ـــ ١٤٨.
(جـ) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: أبو شهبة ـــ جـ ٢ ـــ ص ٢٢٠.
(د) التوجيه والتقويم خلال التاريخ الإسلامي: محمود شاكر ـــ ص ٢١، ٢٢.
(هـ) صفوة الآثار: عبد الرحمن الدوسري ـــ جـ ٤ ـــ ص ٣٤١.
(و) السيرة النبوية دروس وعبر ـــ د. مصطفي السباعي ص ١١٥ ـــ ١١٦ ـــ ١١٧.

بطـــولات وتضحيـــات

١ ــ حمــزة بن عبــد المطلــب رضي الله عنه .

أ ــ تضحيتـــه .

ب ــ كيفيـة استشهـــاده .

جـ ــ التمثيل بـــه .

د ــ تكفينـــه .

هـ ــ النســاء يبكينـــه .

و ــ حمــزة ووحشي بين الشهادة والإسلام .

٢ ــمصعـــب بن عميــر رضي الله عنـــه .

٣ ــعبد الله بن عمــرو بن حــرام رضي الله عنه .

٤ ــغسيل الملائكة (حنظلة بن أبي عامــر) رضي الله عنه .

بطــولات وتضحيــات أثنــاء المعركــة

١ ـ حمــزة بن عبـد المطلــب :

إذا قيل « أسد الله » انصرف ذهـن السامع إلى ذلكم البطل المجاهد حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب .. الإمام البطل الضرغام ــ **أســد الله** ــ أبو عامرة ، وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدريّ الشهيد ، عـم رسول الله ﷺ ، وأخـوه من الرضاعــة .

لقد كان لحمزة مواقف تسطر بمـاء الذهب ، بل سطـرها التاريخ باحرف من نـور وحضنها بين دفتيه يخبر بها أجيال المستقبل ؛ لكي يستفيدوا من تلك المواقف الغابرة الماضية ، لقد سطر التاريخ سيرة أفضل جيل شهدتـه البشرية ، فوالله لو حلفنا بين الركن والمقام لحلفنا : أنه لم تعرف البشرية جيلا مثل جيل الصحابة ، نبلا وعدلا ، وعزة ، وتضحية ، وإيماناً ، وصدقاً . فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

« وليس في الأمة كالصحابة في الإصابة للحكم المشروع ، والهدي المتبوع . فهم أحق الأمة في إصابة الحق والصواب وأجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم أبرّ هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلّها تكلفا ، وأقومهم هديا ، وأحسنهم حالا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم »(١) .

---

(١) أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، ص ٣١ .

وآن الأوان أن نتحدث عن سيد الشهداء الذي قال فيه ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة** ورجل قام إلى إمام جائر، أمره ونهاه، فقتله»(١).

وهــو أســد الله!

قال سعد بن أبي وقاص: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسـد الله(٢).

لقد صال حمزة بسيفه رضي الله عنه ميمنة وميسرة يهد الناس بسيفه هدا ما يليق(٣) شيئا، مدافعاً عن كلمة الحق «**لا إله إلا الله**»، وبينما هو كذلك، كان هناك من يترصد له ليقتله، وذلك لأن حمزة كان بغيته المنشودة، فبقتله يذوق وحشي طعم الحرية كما وعده مولاه جبير بن مطعم، حيث يقول وحشي «ورأيت رجـلا إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت من هذا؟ قالوا حمزة. قلت: هذا حاجتي».

ولنقرأ قصته فى أصح كتاب من كتب السنة. ونورد بعض الفوائد منها.

قال البخاري: «باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه» قال البخاري: وحدثني أبو جعفر محمد بن عبد الله حدثنا جحين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: «خرجت مع عبيد الله بن عدّي بن الخيار، فلما قدمنا حمص، قال لي عبيد الله بن عدّي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت نعم. وكان وحشي يسكن حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك فى ظل قصره كأنه حميت. قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا، فرد السلام، قال وعبيد الله

---

(١) أخرجه الحاكم: جـ ٣ / ١٩٥ من طريق رافع بن أشرس المروزي، عن خليد الصفار عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء عن جابر.. وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: الصفار لا يدري من هو. وفاته أن رافع بن أشرس مجهول الحال. ولكن للحديث طريق آخر يتقوى به ويصح، أخرجه البغدادي ٦ / ٣٧٧، من طريق إسحاق بن يعقوب العطار، عن عمار بن نصر، عن حكيم بن زيد عن إبراهيم الصائغ به.. وهذا إسناد حسن وحكيم بن زيد مترجم في الجرح والتعديل ٣ / ٢٠٤ أ.هـ كلام شعيب الأرنؤوط ــ سير الأعلام النبلاء: جـ ١، ص ١٧٣.

(٢) أخرجه ابن سعد ٣ / ١ / ٦، والحاكم ٣ / ١٩٤ وصححه ووافقه الذهبي وانظر سير أعلام النبلا: جـ١ ص١٧٧

(٣) أي لا يمر بشي إلا قطعه.

معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أني أعلم أن عديّ بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلاما بمكة فكنت استرضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكأني نظرت إلى قدميك. قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عديّ بن الخيار ببدر فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر. قال: فلما أن خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال أحد، بينهما واد— خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباعُ، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتُحَاد الله ورسوله ﷺ؟ قال ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم فاقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلًا، فقيل لي: إنه لا يَهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رآني قال لي: أنت وحشي؟ قلت: نعم. قال: أنت قتلت حمزة؟ قلتُ: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فخرجت. فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافىء به حمزة. قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي. فوضعتها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه. قال ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته قال: قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد

الله بن عمر يقول: «فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود»(١).

بيان بعض مفردات الحديث:

معتجر: أي لاف عمامته على رأسه من غير تحنيك.

مقطعة البظور ــ بالظاء المعجمة جمع بظر وهي اللحمة التى تقطع من فرج المرأة عند الختان، قال ابن إسحاق: كانت أمة ختانة بمكة تختن النساء أ. هـ. والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم وإلا قالوا خاتنة.

أتُحَاد: بمهملتين. وتشديد الدال أي أتعاند، وأصل المحاددة أن يكون ذا في حد وذا في حد، ثم استعمل في المحاربة والمعاداة.

كأمس الذاهب: هي كناية عن قتله أي صيره عدما، وفي رواية ابن اسحاق: كانت «فكأنما أخطأ رأسه» وهذا يقال عند المبالغة في الإصابة.

كمنت: بفتح الميم أي اختفيت.

في ثُنَّته ــ بضم المثلثة وتشديد النون هى العانة، وقيل ما بين السرة والعانة.

فأكافىء به حمزة ــ بالهمز أي أساويه به(٢).

بعض الفوائد المستنبطة من هذا الحديث:

(١) فيه مناقب كثيرة لحمـزة.

(٢) شجاعة حمزة وبذله جهده لقتال المشركين.

(٣) ما كان عليه (وحشي) من الذكاء المفرط.

(٤) إن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقه أذىً، ولا يلزم من ذلك وقوع الهجرة المنهية بينهما.

(٥) التوبة تجُبُّ ما قبلها، والإسلام يجُبُّ ما قبله.

(٦) علو مكانة حمزة عند رسول الله ﷺ.

---

(١) فتح الباري: جـ ٧، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥ حديث رقم ٤٠٧٢.

(٢) فتح الباري: جـ ٧، ص ٤٢٧ ــ ٤٢٨.

(٧) الحذر من الحرب وأن لا يحتقر المرء منها أحدا(١).

حمـزة يمثل به:

عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: من رأى مقتل حمزة. فقال رجل: أعزك الله أنا رأيت مقتله، فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شُقّ بطنه وقد مُثّل به فقال يا رسول الله قد مثل به فكره رسول الله أن ينظر إليه ووقف بين ظهراني القتلى وقال: أنا شهيد على هؤلاء لفّوهم بدمائهم فإنه ليس مجروح يجرح في سبيل الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدما لونه لون الدم وريحه ريح المسك قدموا أكثرهم قرآنا واجعلوه في اللحـد(٢).

★ ★ ★

حمـزة والكفن من خلال حديث أبي أسيد الساعدي:

وعن أبي أسيد الساعدي قال: أنا مع رسول الله ﷺ على قبر حمزة بن عبد المطلب فجعلوا يجرون النمرة على وجهه فينكشف قدماه ويجرونها على قدميه فينكشف وجهه فقال رسول الله ﷺ: اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر قال: فرفع رسول الله ﷺ رأسه فإذا أصحابه يبكون فقال رسول الله ﷺ يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلّا كنت له شفيعا أو شهيداً يوم القيامة (٣).

---

(١) ذكر معظمها الحافظ ابن حجر في الفتح، جـ ٧ ، ص ٤٣٠.
وقال الحافظ بعد النقطة السابعة ــ فإن حمزة لابد أن يكون رأى وحشيا في ذلك اليوم لكنه لم يحترز منه احتقارا منه إلى أن أتى من قبله ــ نقول: هذا تأويل فيه بعد، لقد عرف حمزة بفطانته وهو المجاهد الذي يلي عليا في قتل أكبر عدد من المشركين في الغزوات التي اشتركا فيها، فكيف لا يتفطن حمزة لرجل يحمل حربة ظاهرة مع عدو له ــ فالذي نرجحه أن حمزة لم ير وحشيا، والدليل على ذلك قول وحشي وكمنت لحمزة تحت صخرة ــ أي اختفيت حيث أراه ولا يراني هذا أولا. ثانياً لم ير وحشي حمزة إلا بعدما عثر فصرع مستلقيا، وانكشفت الدرع عن بطنه فزرقه (رماه) وحشي وبقره. انظر في الدليل الثاني. وراجع في ترجمة حمزة ــ أسد الغابة: جـ ١، ص ٥٢٨، سير أعلام النبلاء: جـ ١، ص ١٧١، الإصابة، جـ ٢، ص ٣٧.

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح: جـ ٦، ص ١١٩.

(٣) رواه الطبراني ورجاله ثقات قاله الهيثمي: جـ ٦، ص ١١٩.

تكفين حمــزة رضي الله عنه :

قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا سليمان بن داود الهاشمي أنبأنا عبد الرحمن، يعني ابن أبي الزناد، عن هشام عن عروة قال: أخبرني أبو الزبير: أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: المرأة المرأة! قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلي، قال: فلدمت في صدري، وكانت امرأة جلدة، قال: إليك لا أرض لك، قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك، قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما، قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما، فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له(١).

النســاء يبكين حمــزة :

عن ابن عمر وأنس بن مالك قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين، فقال: لكن حمزة لا بواكي له فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال: يا ويحهن مازلن يبكين منذ اليوم فليبكين ولا يبكين على هالك بعد اليوم(٢).

★ ★ ★

(١) إسناده صحيح، قاله العلامة أحمد شاكر، المسند: جـ ٣، ص ١٣ ـــ ١٤ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ـــ رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق.
وقال الأرنؤوط: إسناده جيد، سير أعلام النبلاء: جـ ١ ، ص ١٨٣.

(٢) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى باسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. وقال الأرنؤوط سنده قوي. وأخرجه أحمد ٢ / ٨٤، ٩٢، ٤٠ والرواية الأخيرة مختصرة. وابن ماجه (١٥٩١) في الجنائز في باب ما جاء في البكاء على الميت، وابن سعد ٣ / ١ / ١٠، وصححه الحاكم ٣ / ١٩٥ ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية ٤ / ٤٨: هو على شرط مسلم. أنظر سير أعلام النبلاء: جـ ١ ص ١٧٣.

حمـزة ووحشي بين الشهـادة والإسلام.

وعن وحشي قال: أتيت النبي ﷺ، فقال لي: وحشي، قلت: نعم، قال: قتلت حمزة، قلت: نعم. والحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يهني بيده. قالت له قريش: أتحبه وهو قاتل حمـزة؟! فقلت: يا رسول الله فاستغفر لي فتفل في الأرض ثلاثة ودفع في صدري ثلاثة وقال: وحشي، أخرج فقاتل في سبيل الله كما قاتلت لتصد عن سبيل الله(١).

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. قلنا: وله طريق أتم من هذه في مناقب وحشي. مجمع الزوائد: جـ ٦، ص ١٢١.

مصعب بن عمير

مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب السيد الشهيد السابق البدري القرشي العبدري. يكنى أبا عبد الله(١).

استشهد يوم أحد، وكان صاحب لواء المسلمين (قاتل رضي الله عنه دون رسول الله ﷺ حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً. فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب)(٢).

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النبي ﷺ: « غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجله من الإذخر» أو قال: « ألقوا على رجله من الإذخر» ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها»(٣).

«وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتِيَ بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه. وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ــ أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا ــ وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكي

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: للذهبي ــ جـ ١، ص ١٤٥، والأصابة في معرفة الصحابة: لابن حجر ــ جـ ٣ ــ ص ٤٠١، والاستيعاب في أسماء الأصحاب ــ لابن عبد البر ــ على هامش الإصابة ــ جـ ٣ ــ ص ٤٤٨

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام ــ جـ ٣ ــ ص ١٠٥.

(٣) أخرجه البخاري وغيره ــ المغازي: باب غزوة أحد حديث رقم (٤٠٤٧) ــ انظر فتح الباري: جـ ٧، ص ٣٥٤

حتى ترك الطعام(١).

لقد استشهد مصعب رضي الله عنه، ولم يكن يملك من الدنيا سوى نمرة لا تغطي جميع جسده، وهو الذي كان أنعم غلام بمكة، [فتى مكة شبابا وجمالا وتيها وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة](٢) ولكنه آثر الآخرة على الدنيا وجاهد في سبيل الله حتى نال الشهادة رضي الله عنه وأرضاه.

عبد الله بن عمرو بن حرام

عبد الله بن عمرو بن حرام.

عن جابر رضي الله عنه قال: «لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: «ما أراني إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عليك منك، غير نفس رسول الله ﷺ. وإن عليّ دينا فاقض واستوص بأخواتك خيراً. فأصبحنا فكان أول قتيل. ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنَيّة غير أذنه»(٣).

وفي رواية عن جابر قال: «دفن مع أبي رجل، فلم تطب نفسي حتى أخرجته، فجعلته في قبر على حدة».

شرح بعض مفردات الحديث:

قوله: «ما أرني» قال الحافظ: وذكر الحاكم في مستدركه عن الواقدي أن سبب ظنه ذلك منام رآه، أنه رأى مبشر بن عبد المنذر، وكان ممن استشهد ببدر — يقول له — أنت قادم علينا في هذه الأيام فقصها على النبي ﷺ فقال:

---

(١) أخرجه البخاري: في المغازي: باب غزوة أحد — حديث رقم (٤٠٤٥) — أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر — جـ ٧، ص ٣٥٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب على هامش الإصابة: لابن عبد البر — جـ ٣، ص ٤٤٩.

(٣) رواه البخاري — انظر فتح الباري: جـ ٣، ص ٢٥٤، ٢٥٣ حديث ١٣٥١ و ١٣٥٢.

هذه الشهادة. وفي رواية أبي نضرة المذكورة عند ابن السكن عن جابر أن أباه قال له: إني معرض نفسي للقتل. الحديث. وقال ابن اليتن: إنما قال ذلك بناء على ما كان عزم عليه، وإنما قال من أصحاب رسول الله ﷺ إشارة إلى ما أخبر به النبي ﷺ أن بعض أصحابه سيقتل(١).

قوله: «ودفن معه اخر»: هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري، وكان صديق والد جابر وزوج أخته هند بنت عمرو.

قوله: «فاستخرجته بعد ستة أشهر»: قال الحافظ: «أى من يوم دفنه وهذا يخالف في الظاهر ما وقع في الموطأ عن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل قبرهما، وكانا في قبر واحد، فحفر منهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة وقد جمع بينهما ابن عبد البر بتعدد القصة، وفيه نظر لأن الذي في حديث جابر أنه دفن أباه في قبر وحده بعد ستة أشهر وفي حديث الموطأ أنهما وجدا في قبر واحد بعد ست وأربعين سنة، فإما أن يكون المراد بكونهما في قبر واحد قرب المجاورة، أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد، وقد ذكر ابن اسحاق القصة في المغازي فقال: «حدثني أبي عن أشياخ من الأنصار قالوا: لمّا ضرب معاوية عينه التي مرت على قبور الشهداء انفجرت العين عليهم فجئنا. فأخرجناهما ــ يعنى عمرا وعبد الله ــ وعليهما بردتان قد غطي بهما وجوههما وعلى أقدامهما شيء من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنيان كأنهما دفنا بالأمس» وله شاهد بإسناد صحيح عند ابن سعد من طريق أبي الزبير عن جابر.

قوله: فإذا هو كيوم وضعته هُنَيّة غير أذنه»: فهُنَيّة تصغير هنة، والمقصود الشيء اليسير. ولأبي داود من طريق حمّاد بن زيد عن أبي مسلمة: «إلا شعرات كن من لحيته مما يلي الأرض».

---

(١) وهو الأقرب للصواب. والله أعلم.

قال الحافظ : يجمع بين هذه الرواية وغيرها بأن المراد الشعرات التي تتصل بشحمة الأذن . وأفادت هذه الرواية سبب تغير ذلك دون غيره . ولا يعكر على ذلك ما رواه الطبراني بإسناد صحيح عن محمد بن المنكدر عن جابر : « أن أباه مثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه » الحديث . وأصله في مسلم ؛ لأنه محمول على أنهم قطعوا بعض أذنيه لا جميعها ، والله أعلم(١) .

بعض الفوائد المستنبطة من حديث جابر :

١ ــ الإرشاد إلى بر الأولاد بالآباء خصوصا بعد الوفاة

٢ ــ الاستعانة على ذلك بإخبارهم بمكانتهم من القلب .

٣ ــ فيه قوة إيمان عبد الله المذكور لاستثنائه النبي ﷺ ممن جعل ولده أعز عليه منهم .

٤ ــ فيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن ، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها .

٥ ــ فيه فضيلة لجابر لعمله بوصية أبيه بعد موته في قضاء دينه(١) .

٦ ــ وفيه التنويه لأهمية الوصية قبل الموت لمن كان عليه دين ونحوه من حقوق العباد ، أو من حقوق الله ، وإلى ذلك يشير الحديث الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ما حق أمرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده .

بعض الأحكام الفقهية من حديث جابر :

١ ــ جواز دفن الرجلين والثلاثة في القبر .

وذلك لحديث جابر قال كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير به إلى أحدهما قدمه في اللحد . الحديث(٢)

---

(١) الفتح : جـ ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٢) الفتح : جـ ٣ ، ص ٢٤٨ ــ حديث (١٣٤٣) و (١٣٤٥) وكذلك : جـ ٣ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ حديث (١٣٤٧) .

٢ ــ ويؤخذ من هذا جواز دفن المرأتين في قبر وأما دفن الرجل مع المرأتين فروى عبد الرزاق بإسناد حسن عن واثلة بن الأسقع : «أنه كان يدفن الرجل والمرأة في القبر الواحد فيقدم الرجل ويجعل المرأة وراءه» وكأنه يجعل حائلا من تراب ولا سيما إن كانا أجنبيين (١).

(١) فتح الباري: جـ ٣ ، ص ٢٥١ .

غسيل الملائكة (١)

قال الخرقي رحمه الله تعالى: «والشهيد إذا مات في موضعه لم يغسل» قال الزركشي رحمه الله: «يعني للموت، فلو كان به ما يقتضي الغسل من جنابة أو غير ذلك، فإنه يغسل» (٢).

واستدل بما رواه ابن اسحاق في المغازي، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، أن النبي ﷺ قال: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة» يعني حنظلة» فاسألوا أهله ما شأنه؟» فسُئِلتْ صاحبته [عنه] فقالت: خرج وهو جنب، حين سمع الهائعة، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة» (٣).

---

(١) أنظر ترجمته في: (أ) الإصابة في تمييز الصحابة — لابن حجر العسقلاني — جـ ١ — ص ٣٦٠.
(ب) أسد الغابة — جـ ١ — ص ٥٤٣.

(٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي: جـ ٢، ٣٤٠.

(٣) رواه ابن هشام: جـ ٣، ص ١٠٧.
قال الأرنؤوط: «... وأخرجه الحاكم: ٣ / ٢٠٤، ٢٠٥، والبيهقي ٤ / ١٥ والسراج من طريق ابن اسحاق حدثني بحر بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن جده، وسنده جيد، وله شاهد من حديث ابن عباس عن الطبراني بسند حسن كما قال الهيثمي في: «المجمع» ٣ / ٢٣، وفي الباب شاهد مرسل قوى عن الحسن البصري عند ابن سعد ٣ / ١ / ٩ انتهى.
نقول: أما الشاهد الذي ذكره الأرنؤوط عن ابن عباس وقال عنه الهيثمي في المجمع في الجزء الثالث ص ٢٣ تحت [باب فيمن يجنب ثم يموت قبل أن يغتسل] إسناده حسن، فقد قال الحافظ ابن حجر في الدراية، وروى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس أصيب حمزة وحنظلة وهما جنبان، فقال النبي ﷺ «إني رأيت الملائكة تغسلهما» وإسناده ضعيف» أ. هـ كلام الحافظ رحمه الله. الدراية: جـ ١، ص ٢٤٤.

صفحات مشرفة من جهاد المرأة المسلمة في معركة أحد

١ ــ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
٢ ــ أم سليم رضي الله عنها .
٣ ــ أم سليط رضي الله عنها .
٤ ــ نسيبة بنت كعب (أم عمارة) رضي الله عنها .
٥ ــ الصابرة المحتسبة رضي الله عنها .

من جهاد النساء في أحد

لقد كان للمرأة المسلمة دور كبير في الجهاد في سبيل الله حيث كانت تشارك بسقي العطشى وتضميد الجرحى، وصنع الطعام، بل وبالأخذ بالسلاح إذا لزم الأمر — كما فعلت — أم عمارة رضي الله عنها بأحد.

وممن شارك يوم أحد في جلب الماء للجرحى من نساء المسلمين. أم المؤمنين عائشة، وأم سليم[١]، وأم سليط[٢] .. وغيرهن رضي الله عنهن.

فعن أنس رضي الله عنه من حديث طويل قال: «ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم[٣] سوقهما تنقزان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه فى افواه القوم .. [٤] الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى»[٥] وروى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً[٦] بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التى عندك — يريدون أم كلثوم بنت على —

---

(١) أم سليم: بنت ملحان بن خالد الأنصارية — أم أنس بن مالك — أختلف في اسمها فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، وقيل: الرميصاء. أنظر: الإصابة، لابن حجر، جـ ٤، ص ٤٤١.

(٢) أم سليط: هي أم قيس بنت عبيد — كناها عمر بابنها سليط بن أبي سليط بن أبي حارثة — تزوجت بعد أبي سليط مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، فولدت أبا سعيد فهو أخو سليط بن أبي سليط لأمه — أنظر المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) خدم: جمع خدمة، وهي الخلخال، والسوق: جمع ساق.

(٤) متفق عليه، واللفظ للبخاري — أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر—جـ٧، ص ٣٦١.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الجهاد — باب غزو النساء مع الرجال — المجلد السادس — جـ ١٢، ص ١٨٨.

(٦) المروط جمع مرط، وهو كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر. أنظر لسان العرب لابن منظور — جـ ٧، ص ٤٠١.

فقال عمر : أم سليط أحق به . وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ قال عمر : فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحـد »(١).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ـــ لابن حجر ، كتاب المغازي ـــ غزوة أحد ، باب ذكر أم سليط ـــ جـ ٧ ، ص ٣٦٦ ـــ حديث رقم (٤٠٧١).

بطولة امرأة

هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية من بني النجار — أم عمارة — مشهورة بكنيتها واسمها معا — أم حبيب وعبد الله ابني زيد بن عاصم رضي الله عنهم. لقد ضربت أم عمارة أروع المثل في التضحية والشجاعة، وسجل لها التاريخ العديد من البطولات التي تعكس ما كانت عليه المرأة المسلمة المؤمنة من قوة الإرادة والعزيمة، والمشاركة في الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى، لقد شهدت أم عمارة أحداً هي وزوجها وابناها — رضي الله عنهم — خرجت ومعها شن لها في أول النّهار تريد أن تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا فجُرِحَتْ اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.

روت عنها أم سعد بن سعد بن ربيع قصتها فقالت: دخلت عليها فقلت لها: يا خالة، حدثيني خبركم فقالت: خرجت أول النهار إلى أحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصتْ إليّ الجراح. فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف، فقلت: يا أم عمارة، من أصابك بهذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة، وقد ولّى الناس عن رسول الله ﷺ، يصيح: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا! فاعترض له مصعب بن عمير وأناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان. وكان قد غشي عليها من جراحها، فلما أفاقت قالت: أين رسول الله وما صنع المشركون معه؟ فقالوا لها بخير.

[وحدّث ضمرة بن سعيد عن جدته وكانت قد شهدت أحدا تسقي الماء فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان». وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا، فلما حضرتها الوفاة كنت فيمن غسلها، فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر جرحا. وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قمئة وهو يضربها على عاتقها ـــ وكان أعظم جراحها، لقد داوته سنة ـــ ثم نادى منادي النبي ﷺ إلى حمراء الأسد! فشدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلنا نكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسر النبي ﷺ بذلك](١).

وروى الواقدي بسنده عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما التفت يوم أحد يمينا وشمالا إلا وأراها تقاتل دوني»(٢).

وكان مسيلمة الكذاب قد ظفر بابنها حبيب وأخذه أسيرا، فقال له: أتشهد أني رسول الله فيقول: لا أسمع. فيقول: أتشهد أن محمداًرسول فيقول: نعم، فيقطع منه عضوا، ومازال يسأله ويجيب بما أجاب به حتى قطعه إربا إربا، ومات شهيدا، ولما بلغ أم عمارة ذلك عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة، فلما كان يوم اليمامة، استأذنت أبا بكر الصديق رضي الله عنه في الخروج فقال لها: ما مثلك يحال بينه وبين الخروج، فقد عرفناك، وعرفنا جرأتك في الحرب، فاخرجي على اسم الله فخرجت وكانت حريصة على قتل مسيلمة حتى قابلها إبنها عبد الله وسيفه يقطر دما، وكان قد شارك وحشيا في قتل مسيلمة، فقالت

---

(١) رواه الوافدي بسنده ـــ أنظر: المغازي ـــ جـ ١ ـــ ص ٢٦٩.
(٢) رواه الواقدي بسنده ـــ المرجع السابق، ص ٢٧١..

له: أقتلته؟ قال: نعم، فسجدت شكراً لله، وعادت وقد فقدت في حروب الردة يدا وابنا، وعادت بيد وابن ولكنها كانت قريرة العين أن أبّر الله قسمها (١).

---

(١) أنظر الكتب التالية:

أ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ جـ ٣ ــ ص ١١٨.

ب ــ المغازي ــ للواقدي ــ جـ ١ ــ ص ٢٦٨ ــ ٢٧١.

جـ ــ الإصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر جـ ٤ ــ ص ٤٠٣.

د ــ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ــ لابن عبد البر على هامش الإصابة ــ جـ ٤، ص ٤٤٥.

هـ ــ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ــ لمحمد أبو شهبة ــ جـ ٢ ــ ص ٢٠٢.

الصابرة المحتسبة

أورد ابن هشام حديثا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونية حتى أنظر إليه! قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل — تريد صغيرة(١).

وذكر الواقدي في المغازي أنها السميراء بنت قيس إحدي نساء بني دينار، وقد أصيب ابناها مع النبي ﷺ بـ أحد، النعمان بن عمرو، وسليم بن الحارث، فلما نعيا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا، هو بحمد الله صالح على ما تحبين. قالت: أرونيه أنظر إليه! فأشاروا لها إليه فقالت: كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل(٢).

وذكر أيضا حديثا مماثلا للأول جاء فيه أن المرأة: حمنة بنت جحش — أخت عبد الله بن جحش، قال لها رسول الله ﷺ: يا حمن احتسبي! قالت: من يا رسول الله؟ قال: خالك حمزة. قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئا له الشهادة! ثم قال لها: احتسبي! قالت! من يا رسول الله؟ قال: أخوك. قالت إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه، هنيئا له الجنة، ثم قال لها: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: مصعب بن عمير — وفي رواية بعلك مصعب — فقالت: واحزناه، ويقال: أنها قالت: واعقراه، فقال

---

(١) السيرة النبوية — لابن هشام — جـ ٣، ص ١٤٥، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبو شهبة جـ،ص ٢٠٤

(٢) المغازي للواقدي — جـ ١ — ص ٢٩٢ — وجاء في تكملة الحديث «أن السميراء حملت ابنيها على بيعير تردهما للمدينة، فلقيتها عائشة رضي الله عنها فقالت: ما وراءك؟ فقالت: أما رسول الله ﷺ، بحمد الله فبخير، لم يمت! واتخذ الله من المؤمنين شهداء» وهذا يعارض ما في الصحيحين من أن عائشة رضي الله عنها كانت حاضرة للمعركة وكانت تحضر الماء إلى الجرحى مع من حضر من النساء وقد سبق ذكر الحديث وعلى كل حال الحديث ضعيف فلقد رواه بدون سند ورواه غيره بسند منقطع.

رسول الله ﷺ : إن للزوج من المرأة مكانا ما هو لأحد . ثم قال لها رسول الله ﷺ : لم قلت هذا؟ قالت : يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني [1] .

(١) المغازي ــ للواقدي ــ جـ ١ ص ٢٩١ ، ورواه ابن ماجه في السنن مختصراً : كتاب الجنائز ــ باب : ما جاء في البكاء على الميت ــ جـ ١ ، ص ٥٠٧ ، حديث رقم (١٥٩٠) ؛ وذكره ابن هشام من طريق ابن اسحاق معلقا ــ أنظر ــ السيرة ــ جـ ٣ ص ١٤٤ ، قال في الزوائد : في إسناده عبد الله بن عمر العمري ، وهو ضعيف .

من المسائل العقدية والفقهية المستنبطة من المعركة

١ ــ التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب.
٢ ــ اختلاف العلماء في الصلاة على الشهيد.

التوكـل لا ينافي الأخـذ بالأسبـاب

لقد ظاهر رسول الله ﷺ يوم أحـد بين درعين(١)، وثبت أنه ﷺ قد غطى رأسه بالبيضة كما ثبت عند مسلم وغيره، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مباشرته وتعاطيه ﷺ للأسباب، وهو سيد المتوكلين ولا جدال في ذلك.

فمن اعتمد على الوسائل والأسباب أو على حوله أو قوته فقد انسلخ من التوكل، ومن عطل الوسائل والأسباب، ولم يأخذ بها فليس بمتوكل ولا موحد لله، لأن حقيقة التوحيد لا تتم بها فليس بمتوكل ولا موحد لله، لأن حقيقة التوحيد لا تتم إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعاً(٢).

وقال الإمام النووي في شرحه لحديث سهل بن سعد وفيه ــ وهشمت البيضة على رأسه ــ وفيه استحباب لبس البيضة والدروع وغيرها من أسباب التحصن في الحرب وأنه ليس بقادح في التوكل(٣).

وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي. فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ: «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي»، وقال: لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم. انتهى

قال الحافظ ابن حجر: «والمراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وليس المراد ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل»(٤).

---

(١) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. قاله الهيثمي ــ جـ ٦ ــ ص ١٢٨. وصححه الألباني. أنظر هامش فقه السيرة للغزالي ــ ص ٢٧١.

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ــ جـ ٤ ــ ص ٣٠٨.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ــ جـ ٢ ــ ص ١٤٨.

(٤) فتح الباري ــ جـ ١١ ــ ص ٣١٢.

اختلاف العلماء في الصلاة على الشهيد

اختلف العلماء في الصلاة على الشهيد على أقوال:

الأول: ذهب جمهور العلماء إلى تحريم الصلاة على الشهيد، وبه قال عطاء والنخعي وسليمان بن موسى ويحيى الأنصاري والحاكم وحماد والليث ومالك وتابعوه من أهل المدينة، وأحمد وإسحاق وأبو ثور وابن الخندر.

الثاني: ذهب سعيد بن المسيب والحسن البصري وأبو حنيفة والثوري والمزي إلى أنه يُصَلى عليه وهو رواية عن الحنابلة (١).

الثالث: وهو رواية ثالثة عن الحنابلة، أنه يخير في الصلاة وتركها لورود الأمرين بهما، لكن الفعل أفضل وعن أحمد الترك أفضل (٢).

أدلة كل فريق:

أدلة الفريق الأول:

(١) استدل الفريق الأول: وهم الجمهور القائلون بعدم الصلاة على الشهيد:

أ) ما رواه جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذا للقرآن فإن أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم» (٣) وفيه التصريح من جابر أن النبي ﷺ لم يصل على شهداء أحد.

واستدلوا بحديث جابر أنه قال: قال النبي ﷺ : «ادفنوهم في

---

(١) انظر في هذه المسألة:
المجموع — جـ ٥ / ص ٢٦٤ — المغني والشرح الكبير: جـ ٢ / ص ٤٠١
نيل الأوطار: جـ ٤ / ص ٤٩ — الروضة الندية شرح الدرة البهية: جـ ١ / ص ٤٢٣ — ٤٢٤ سبل السلام: جـ ٢ / ١٩٧.

(٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، جـ ٢ / ٣٤٣ ونقل الزركشي عن الماوردي عن أحمد أن الصلاة على الشهيد أجود وإن لم يصلوا عليه أجزأ، فتح الباري: جـ ٣ / ٢٤٩.

(٣) فتح الباري: حديث رقم ١٣٤٦ جـ ٣، ص ٣٥٢.

دمائهم، يعني يوم أحد، ولم يغسلهم»[١].

وعند أحمد: لا تغسلوهم فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة، ولم يصل عليهم «قال الحافظ: فبين الحكمة في ذلك[٢].

ب) واستدلوا أيضا بما رواه أبو داود عن أنس: «أن شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم»[٣]

هذا مجمل ما استدل به المانعون للصلاة على الشهيد وقالوا بأن الشهداء لا يصلى عليهم لأنهم أحياء عند ربهم والصلاة إنما شرعت للأموات، وقيل: لغناهم عن الشفاعة فإن الشهيد يشفع في سبعين من أهله» كما رواه أحمد وابن ماجة وأبو داود وغيرهم[٤].

أدلـة الفريق الثاني:

استدل الفريق الثاني: وهم القائلون بالصلاة على الشهيد بأدلة:

أ) ما رواه البخاري عن عقبة بن عامر «أن النبي ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرط لكم... الحديث[٥].

وهذا الحديث أصح ما أستدل به المجيزون.

---

(١) فتح الباري: حديث رقم ١٣٤٣، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٥٣، ٤٠٧٩.

(٢) فتح الباري: حديث رقم: ١٣٤٦، جـ ٣، ص ٣٥٣.

(٣) أخرجه أبو داود، جـ ٨ / ٢٨٣ حديث رقم ٣١٣٣ وقال عنه النووي في المجموع: إسناده حسن أو صحيح، جـ ٥ / ص ٢٦٥

(٤) أنظر شرح الزركشي على مختصر الخرقي جـ ٢ / ١١٢ قال محققه: رواه الطبراني عن أبي هريرة بسند حسن ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٣) ولفظه: «الشهيد يغفر له في أول كل دفقة من دمه ويزوج حوراوين ويشفع في سبعين من أهله».

(٥) فتح الباري — حديث ١٣٤٤، ٣٥٩٥، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، جـ ٣، ص ٢٤٨، ٢٤٩

ب) ما رواه الدارقطني عن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن قتلى أحد ... الحديث قال: ثم قدّم حمزة فكبر عليه عشرا، ثم جعل فجاء بالرجل فيوضع ، وحمزه مكانه، حتى صلى عليه سبعين صلاة(١).

جـ) ما أخرجه الحاكم والطبراني وابن ماجه من طرق أخرى عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ لحمزة ، فهيىء للقبله ، ثم كبر عليه سبعا ، ثم جمع إليه الشهداء حتى صلى عليه سبعين صلاة(٢).

د) ما أخرجه أحمد عن ابن مسعود وفي آخره « ... فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه وجيىء بالرجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه فرفع الأنصاري وترك حمزة حتى صلى عليه سبعين صلاة »(٣) وأحاديث أخرى لا يخلو بعضها من مقال(٣).

قال الإمام الشوكاني ردا على من ادعى الاختصاص أو أن الصلاة هنا بمعنى الدعاء وأنها واقعة عين: «أنت خبير بأن دعوى الاختصاص خلاف الأصل، ودعوى أن الصلاة بمعنى الدعاء يردها قوله في الحديث «صلاته على الميت» وأيضا قد تقرر في الأصول أن الحقائق الشرعية مقدمة على اللغوية ، فلو فرض عدم ورود هذه الزيادة لكان المعين المصير إلى حمل الصلاة على حقيقتها الشرعية وهي ذات الأذكار والأركان ، ودعوى أنها واقعة عين لا عموم لها يردها أن الأصل فيما ثبت لواحد أو لجماعة في عصره ﷺ لثبوته للغير على أنه يمكن معارضة هذه الدعوى بمثلها فيقال: ترك الصلاة على الشهداء في يوم أحد واقعة عين لا عموم لها ، فلا تصلح للاستدلال بها على مطلق الترك بعد ثبوت مطلق الصلاة على الميت، ووقوع الصلاة منه على خصوص الشهيد في غيرها كما في حديث شداد بن الهاد وأبي سلام ».

---

(١) قال الحافظ : وهو من رواة إسماعيل بن عياش من غير الشاميين. انظر الدراية في تخريج أحاديث الهداية . جـ ١، ص ٢٤٣ .

(٢) قال الحافظ: وفي إسناده بريد أبي زياد وهو ضعيف ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

(٣) انظر الدراية الجزء الأول ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ — ونيل الأوطار ، جـ ٤ ، ص ٤٨ ، ٤٩ — والمجموع: جـ٥، ص ٢٦٥ .

وأما دعوى ضيق تلك الحال ودعوى الاضطراب فقد قال الشوكاني رحمه الله: «وضيق تلك الحالة لا يمنع من إيقاع الصلاة ، فإنها لو ضاقت عن الصلاة لكان ضيقها عن الزمن أولى. ودعوى الاضطراب غير قادحة ، لأن جميع الطرق قد أثبتت الصلاة وهي محل النزاع، ودعوى أن الأصل عدم الصلاة مسلمة قبل ورود الشرع وأما بعد وروده فالأصل الصلاة على مطلق الميت والتخصيص ممنوع ثم قال: وأيضا أحاديث الصلاة قد شدّ من عضدها كونها مثبتة ، والإثبات مقدم على النفي ، وهذا مرجح معتبر والقدح في اعتباره في المقام يبعد غفلة الصحابة عن إيقاع الصلاة على أولئك الشهداء معارض بمثله وهو بعد غفلة الصحابة عن الترك الواقع على خلاف ما كان ثابتا عنه ﷺ من الصلاة على الأموات فكيف يرجح ناقله وهو أقل عددا من نقلة الإثبات الذي هو مظنة الغفول عنه لكونه واقعا على مقتضى عادته ﷺ من الصلاة على مطلق الميت.

وقال: ومن مرجحات الإثبات الخاصة بهذا المقام أنه لم يرو النفي إلّا أنس وجابر ، وأنس عند تلك الواقعة من صغار الصبيان وجابر قد روى أنه ﷺ صلى على حمزة، وكذلك أنس كما تقدم فقد وافقا غيرهما في وقوع مطلق الصلاة على الشهيد في تلك الواقعة ، ويبعد كل البعد أن يخص النبي ﷺ بصلاته حمزة لمزية القرابة ويدع بقية الشهداء، ومع هذا فلو سلمنا أن النبي ﷺ لم يصل عليهم حال الواقعة ، وتركنا جميع هذه المرجحات لكانت صلاته عليهم بعد ذلك مفيد للمطلوب؛ لأنها كالاستدراك لما فات مع اشتمالها على فائدة أخرى وهي أن الصلاة على الشهيد لا ينبغي أن تترك بحال وإن طالت المدة وتراخت إلى غاية بعيدة ثم قال في ختام بحثه القيم: «وأما حديث أبي سلام فلم أقف للمانعين من الصلاة على جواب عليه وهو من أدلة المثبتين لأنه قتل في المعركة بين يدي النبي ﷺ وسماه شهيداً وصلى عليه، نعم لو كان النفي عاما غير مقيد بوقعة أحد ولم يرد به الإثبات في

هذا الحديث لكان مختصا بمن قتل على مثل صفته[1] أ . هـ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « والصواب في هذه المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها لمجييء الآثار بكل واحد من الأمرين وهذه إحدى الروايات عن الإمام أحمد وهي الأليق بأصوله ومذهبه »[2]أ . هـ .

(١) نيل الأوطار ــ جـ ٤ ص ٥٠ ــ ٥١ .
(٢) انظر : تهذيب السنن بحاشية عون المعبود ــ جـ ٤ ، ص ٢٨٤ .

حقــائق وتحقيقــات

١ ــ الذين جمع الرسول ﷺ لهم أبويه يوم أحـد .
٢ ــ الرسول ﷺ يتمنى الشهادة .
٣ ــ أوجــب طلحـــه .
٤ ــ جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان عن النبي ﷺ .
٥ ــ وهْمٌ والتحقيق فيــه .
٦ ــ عـدد الفرسان في معركــة أحــد .
٧ ــ التحقيق في غسل الملائكة لحمزة رضي الله عنه .
٨ ــ هل قاتل الملائكة مع الرسول ﷺ وصحابته في معركـة أحــد .
٩ ــ لِمَ لمْ يجرؤ أبو سفيان بالتحرك نحو المدينة الخالية .
١٠ ــ حقائــق متفـرقــة .
١١ ــ دخـل الجنـة وما صلّى لله صــلاة .
١٢ ــ عين قتـادة والمعجـزة النبويــة .
١٣ ــ خبــر مخيـريق .
١٤ ــ خبـر قزمـان والأعمـال بالخواتيـم .
١٥ ــ التمثيـل بمن مثل بحمــزة والصحيح في ذلـك .

محمد براء الياقي

حقـائق وتحقيقـات

الذين جمع لهم رسول الله ﷺ أبويه يوم أحـد

١ ـــ سعـد بن أبي وقـاص

قال سعد بن أبي وقاص: «جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما ـــ يريد حين قال: فداك أبي وأمي ـــ وهو يقاتل»(١).

٢ ـــ طلحـة بن عبيد الله.

عن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجوِّبٌ عليه بحجفة له، وكان أبوطلحة رجلا راميا شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمُرُّ معه بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة قال: ويشرف ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك...» الحديث(٢).

٣ ـــ الزبير بن العـوام.

عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحـد(٣).

★ ★ ★

---

(١) فتح الباري ـــ جـ ٧، ص ٤١٥، حديث رقم ٤٠٥٥، ٤٠٥٦، ٤٠٥٧، ٤٠٥٨، ٤٠٥٩.

(٢) فتح الباري ـــ جـ ٧، ص ٤١٨، حديث رقم ٤٠٦٤.

(٣) رواه أحمد فى المسند. جـ ٣ ص ٤ حديث رقم ١٤٠٨ وحديث رقم ١٤٢٣. ص ١٦. قال عنهما أحمد شاكر: إسنادهما صحيح.

ـــ وأما قول علي: «لم يفعل ذلك إلا لسعد» أي: التفدية، ونفى علي لا يدل عدم وقوع ذلك لغيره، فالمثبت لدية زيادة على النافي وأمثلة هذا كثير كصلاته ﷺ في الكعبة فابن عباس ينفي وبلال يثبت، وكصلاته على الشهيد فجابر ينفي، وعقبة يثبت. وليس في ذلك معارضة كما قدمنا، وزيادة في الموضوع: إرجع إلى كلام العلامة أحمد شاكر: المسند ـــ جـ ٣، ص ٥.

الرسول ﷺ يتمنى الشهادة في معركة أحد

* قال ابن اسحاق: «حدثني عاصم بن عمر، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر أصحاب أحد: «أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب فحص الجبل» يقول: قتلت معهم(١).

★ ★ ★

* **أوجب طلحة:**

عن عبد الله بن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ: أوجب طلحة، حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع، يعني حين برك له طلحة فصعد رسول الله ﷺ على ظهره(٢).

★ ★ ★

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد(٣).

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء ــ جـ ١، ص ١٨٤.
قال محققه: إسناده قوي. وهو في المسند «٣ / ٣٧٥ وفيه بخص» وفي «سيرة ابن كثير» ٣ /٨٩ «بحضن» وهو تحريف. وفحص الجبل: سفحه وما بسط منه. سير أعلام النبلاء، نفس الجزء والصفحة.

(٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، جـ ١، ص ١٢، رقم ١٤١٧. في مسند الامام أحمد.
وقال: أوجب طلحة: أي عمل عملا أوجب له الجنة. إذ حمل رسول الله ﷺ على ظهره، وكان على رسول الله ﷺ درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع. أ. هـ
ومن المعلوم أنه قد ثبت أن طلحة من أهل الجنة للحديث الذي رواه أحمد في المسند ــ جـ ٣، ص ١٠٨، ١٠٩ حديث رقم ١٦٢٩، ١٦٣٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم ــ انظر الصحيح المسند من دلائل النبوة، ص ١٨٩.

وهمٌ والتحقيق فيه

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ يوم أحد: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب».

قال الحافظ وهو وهم من وجهين:

أحدهما: أن هذا الحديث تقدم بسنده ومتنه في «باب شهود الملائكة بدراً» ولهذا لم يذكره هنا أبو ذر ولا غيره من متقني رواة البخاري. ولا استخرجه الإسماعيلي ولا أبو نعيم.

ثانيهما: أن المعروف في هذا المتن يوم بدر كما تقدم لا يوم أحد. والله المستعان (١).

*** عدد الفرسان في غزوة أحد.**

قال الحافظ: ووقع في الهدى أن الخمسين عدد الفرسان يومئذ وهو غلط بيّن، وقد جزم موسى بن عقبه بأنه لم يكن معهم في أحد شيء من الخيل. ووقع عند الواقدي: كان معهم فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بردة (٢).

*** حمزة وغسيل الملائكة له.**

روى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال: أصيب حمزة وحنظلة وهما جُنُبان، فقال النبي ﷺ «أني رأيت الملائكة تغسلهما» وإسناده ضعيف (٣).

*** هل قاتل الملائكة مع المسلمين في معركة أحد؟**

وقبل الجواب، فالخلاف نشأ من فهم الآيات التى في آل عمران وهي قوله سبحانه: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. إذ تقول

---

(١) فتح الباري ـــ جـ ٧، ص ٤٠٤، ٤٠٥.

(٢) فتح الباري ـــ جـ ٧، ص ٤٠٥.

(٣) الدراية في تخريج أحاديث الهداية ـــ جـ ١، ص ٢٤٤.

وأنظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة المجلد الرابع حديث رقم ١٩٩٣، ص ٤٥٨.

للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ... ﴾ الآيات .

قال الدوسري : وعند العلماء خلاف واستشكال في هذه الآيات حيث قال بعضهم إنها نزلت في غزوة « أحد » وإن الإمداد بالملائكة كان مربوط بالصبر والتقوى ، وذلك لم يحصل من أهله ، فتوقف الإمداد .

وقال بعضهم : إن هذه الآيات نزلت في أهل « بدر » وأنها معترضة هنا في قصة أهل « أحد » ، وهذا هو الصحيح الذي لا مرية فيه ، ولكن وقع لبعضهم إشكال في ذلك ، ووجه الاستشكال هو أن الله سبحانه ذكر في هذه السورة عدد الملائكة من ثلاثة الآف إلى خمسة الآف ، وقد ذكرها في سورة الأنفال ألفا من الملائكة فقط ، وهذا الإشكال يزول بحمد الله من وجهين :

١ ــ أن الله وعدهم أولا بألف ، ثم زادهم إلى ثلاثة ، ثم صارت خمسة ، كما في هذه الآيات .

٢ ــ أن آية الأنفال ليس فيها ما يدل على قصرهم على الألف ، بل فيها ما يفيد زيادتهم بكل جلاء ووضوح وذلك أن الله سبحانه قال : (بألف من الملائكة مردفين) ، خصوصا على قراءة نافع بفتح الدال ، وقراءة نافع اختارها أحمد وأكثر العلماء ، و « مردَفين » متبوعين بغيرهم ، وهذا هو الحق يعني يتبع بعضهم بعضا ، وحتى على القراءة بالكسر ، قال فيه أبو حيان : « فلا يخلو المكسور الدال أن يكون بمعنى مُتْبِعِين ، أو متبعين فإن كان بمعنى مُتْبِعين فلا يخلو أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين بعضهم لبعض ، أو متبعين أياهم المؤمنين ، أي يتقدمونهم فيتبعون أنفسهم ، أو متبِعين لهم يشيعونهم ويقدموهم بين أيديهم ، وهو على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم ، أو بمعنى متبِعين أنفسهم ملائكة آخرين ، أو متبِعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران : بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » انتهى نقله عن ابن عطية [١] .

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ــ جـ ٤ ، ص ٣١١ .

لِمَ لَمْ يجرؤ أبو سفيان بالتحرك نحو المدينة الخالية للاستيلاء عليها ؟

والجواب ما وضحه الخبير الجنرال أ. ي ، أكرم حين قال : وينبغي أن نلاحظ أيضا أن النبي ﷺ في اختياره ميدان المعركة قد ترك المدينة مفتوحة لهجوم القرشيين وكانت المدينة قاعدة المسلمين ، لكن الطريق المؤدي إلى تلك القاعدة والذي يمرُّ جنوب موقع المسلمين ، كان مفتوحا لأبي سفيان ، فلو أن أبا سفيان قرر التحرك إلى المدينة ، فإن المسلمين لن يكونوا في طريق تقدمه . في هذا القرار ، توقع النبي ﷺ بشكل صحيح بأن أبا سفيان لن يجرؤ على التحرك إلى المدينة ، لأنه لو فعل ذلك لعرض مجنبته ومؤخرته للهجوم من قبل المسلمين . وهذا ما حصل تماما . فأبو سفيان لم يتحرك إلى المدينة خوفا من المسلمين الذين كانوا يقفون على جانب الطريق . وكان هذا مثالا نموذجيا ، تكرر عدة مرات في التاريخ العسكري ، لقوةٍ تدافع عن قاعدتها ليس بالتمركز فيها وخوض معركة جبهية ، بل بتهديد أي تحرك معادٍ نحو تلك القاعدة من الجنب(١) .

حقـــائـــق

١ ــ الذي كسر رباعية النبي ﷺ هو عتبة بن أبي وقاص .
٢ ــ الذي شج النبي ﷺ هو عبد الله بن شهاب الزهري .
٣ ــ عبد الله بن قمئة هو الذي جرح النبي عليه الصلاة والسلام في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته .
٤ ــ مالك بن سنان هو الذي مص الدم من وجه رسول الله ثم ازدرده فقال ﷺ (لن تمسّك النار) .
٥ ــ أبو عامر الفاسق هو الذي حفر الحفرة التي سقط فيها رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر خالد بن الوليد : للجنرال أ.ى. أكرم. ترجمة العميد ركن صبحي الجاني ص ٦٧ . والكتاب مهم في موضوعه وهو حري بأن يقتنى خاصة للمتخصص في الدراسات التاريخية .

٦ ــ لم تستأصل رباعية النبي ﷺ المصابة وإنما كسرت . أي سقطت منها فلقة .

٧ ــ للإنسان أربع رباعيات ، والرباعية هي السن التي بين الثنية والناب .

قوله عليه الصلاة والسلام اسكن نبي وصديق وشهيدان .

قال العكبري تقديره : عليك نبي ، قد جاء مفسراً في حديث آخر (١) .

٨ ــ الملكان اللذان قاتلا عن يمين ويسار النبي عليه الصلاة والسلام هما : جبريل وميكائيل . وذلك لما ورد عند مسلم .

* الجمع بين قوله تعالى : (وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ...) الآية وبين خروجه ﷺ بعد صلاة الجمعة للمعركة ؟ هو ما قاله جمال الدين القاسمي رحمه الله حيث يقول :

فسر أكثر العلماء (غدوت) بأصلها ، وهو الخروج غدوة أي بكرة ، ثم استشكلوا أنه ﷺ خرج إلى أحد بعد صلاة الجمعة كما اتفقت عليه كلمة أهل السِّيَر ، فكيف تكون المطابقة بينهما ؟ .

فمنهم من قال : المراد غدوة الجمعة أي : اذكر إذ غدوت من أهلك صبيحة الجمعة إلى أصحابك في مسجدك تستشيرهم في أمر المشركين ، ثم قال : وبنى من (غدوت) حالا . إعلاما بأن الشروع في السبب شروع في مسببه ، فقال : (تبوىء المؤمنين) أي صبيحة يوم السبت .

وكان يخطر لي أن الأقرب جعل الغُدُوّ بمعنى الخروج غير مقيد بالبكرة ، وكثيرا ما يستعمل كذلك .

ثم رأيت في فتح البيان ما استظهرته ، فحمدت الله على الموافقة ونصه : وعبر عن الخروج بالغُدُوّ الذي هو الخروج غدوة مع كونه ﷺ خرج بعد صلاة الجمعة ؛ لأنه قد يعبر بالغدوة والرواح عن الخروج والدخول من غير اعتبار أصل معناهما ، كما يقال (أضحى) وإن لم يكن في وقت الضحى . انتهى (٢) .

---

(١) إعراب الحديث النبوي ، ص ١٢٩ .

(٢) تفسير القاسمي ــ ج ٤ ، ص ٢١٤ .

دخل الجنة وما صلى لله صلاة

أورد أبو داود في كتاب الجهاد حديث أبي هريرة تحت باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله تعالى.

قال أبو داود حدثنا موسى بن إسماعيل أخبرنا حمّاد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة: «أن عمرو بن أُقَيْش كان له ربّا في الجاهلية فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت. فقاتل حتى جُرِح فحمل إلى أهله جريحا فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته سليه حميّة لقومك أو غضبا لهم أم غضبا لله؟ فقال بل غضبا لله ولرسوله فمات، فدخل الجنة وما صلى لله صلاة(١).

عين قتادة والمعجزة النبوية

قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري.

شهد العقبة، وبدرا وأحدا، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وأصيبت عينه، يوم بدر، وقيل: يوم أحد، وقيل: يوم الخندق.

قال أبو عمر: الأصح — والله أعلم — أن عين قتادة أصيبت يوم أحد، فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله تعالى قال المنذري: ذكر الدارقطني أن حمّاد بن سلمة تفرد به.
أنظر عون المعبود: جـ ٧، ص ١٥١، حديث رقم ٢٥٣٢ وقد وردت هذه القصة في بعض السير لعمرو بن ثابت بن وقش.
أنظر: أسد الغابة: جـ ٣٠، ص ٦٦٩.

وجاء عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده قال: أصيبت عين أبي يوم أحد، فبزق فيها النبي ﷺ فكانت أحسن عينيه.

وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن قتادة بن النعمان: أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: لا. فدعا به، فغمز حدقته براحته، فكان لا يدرى أي عينية أصيبت.

وفي رواية أخرى عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: أصيبت عين قتادة يوم أحد، حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه.

وروى الأصمعي، عن أبي معشر المدني قال: وفّد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بديون أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلًا وكان من ولد قتادة بن النعمان، فلما قدم عليه قال: فمن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها
فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز:

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[1].

---

(١) أسد الغابة ــ جـ ٤، ص ٨٩، ٩٠.
وانظر ــ سير أعلام النبلاء: جـ ٢، ص ٣٣٢، ٣٣٣ ــ الأصابة في تمييز الصحابة: جـ ٥، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

خبر مخيريق

كان من يهود المدينة رجل يدعى (مخيريق)، وكان حبراً عالماً وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه لم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحد يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد، وعهد إلى من ورائه من قومه: إن قُتِلت هذا اليوم فأموا لي لمحمد — ﷺ — يصنع فيها ما أراه الله. فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها(١).

قال ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ — فيما بلغنا — «مخيريق خير يهود»(٢) وذكر ابن شبه عن ابن شهاب قوله: «كانت صدقات النبي ﷺ أموالا لمخيريق» ثم ذكر أسماء السبع الحوائط هذه فقال: الدلال، وبرقة، والأعواف، والصافية، والميثب، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم(٣).

(خبر قزمان، والأعمال بالخواتيم)

لقد كان المسلمون يقاتلون مع رسول الله ﷺ لتكون كلمة الله هى العليا وإن المجاهد منهم ليدخل إلى المعركة وهو يمنّي نفسه بإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة، ومن استشهد من أمثال هؤلاء فهو بلا شك ممن قال الله سبحانه

---

(١) السيرة النبوية: لابن هشام — جـ ٣ — ص ١٢٩، والمغازي: للواقدي — جـ ١ ص ٢٦٢ — والاصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر — جـ ٣، ص ٣٧٣.

(٢) قول ابن اسحاق بلاغ والبلاغ منقطع. انظر: سير ابن هشام جـ ٣ — ص ١٢٩. ورواه سعد في الطبقات — جـ ١، ص ٥٠١ وفي سنده الواقدي وهو ضعيف؛ وذكر الطبري في تاريخه، جـ ٢، ص ٥٣١ من طريق ابن اسحاق.

(٣) تاريخ المدينة: لابن شبه — جـ ١، ص ١٧٣.

وتعالى فيهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (١).

أما من قتل لغير الله كأن يقاتل حمية لقومة، أو إظهارا لشجاعة فإن مآله إلى الخسران والعياذ بالله.

ومن هؤلاء رجل يدعى (قزمان). قال ابن اسحاق: «كان فينا رجل أتيٌّ لا يدرى ممن هو، يقال له: قزمان، وكان رسول الله ﷺ يقول: إذا ذكر له: «إنه لمن أهل النار» قال: فلمّا كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراح، فاحتُمل إلى دار بني ظفر، فجعل رجال من المسلمين يقولون به: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فابشر، قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا هذا ما قاتلت! فلمّا اشتدت به جراحه أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه(٢).

وذكر الواقدي قصة قزمان فقال: «وكان قزمان من المنافقين، وكان قد تخلف عن أحد، فلمّا أصبح عيّره نساء بنى ظفر فقلن: يا قزمان، قد خرج الرجال وبقيت يا قزمان! ألا تستحي مما صنعت؟! ما أنت إلا امرأة، خرج قومك فبقيت فى الدار فاحفظنه، فدخل بيته فأخرج قوسه وجعبته وسيفه — وكان يعرف بالشجاعة — فخرج يعدو حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يسوي صفوف المسلمين، فجاء من خلف الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول فكان فيه. وكان أول من رمى بسهم من المسلمين، فجعل يرسل نبلا

(١) سورة آل عمران — الآية ١٦٩.

(٢) السيرة النبوية: لابن هشام — جـ ١ — ص ١٢٩ ـ وذكر البخاري في كتاب المغازي حديثا مماثلا عن سهل بن سعد ولم يسم الرجل ولم يسم الغزوة، ولكنه ذكره في باب غزوة خيبر أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري — لابن حجر — جـ ٧، ص ٤٧٥، حديث رقم (٤٢٠٧) وذكره أيضا في كتاب الرقاق — باب الأعمال بالخواتيم، وما يخاف منها انظر: المرجع السابق جـ ١١، ص ٣٣٠، حديث رقم (٦٤٩٣) ورواه مسلم في كتاب الإيمان — باب: غلظ تحريم قتل الانسان نفسه — جـ ٢، ص ١٢٣، وذكر مسلم أيضا حديثا مماثلا جاء فيه أن الغزوة حنين انظر المرجع السابق — ص ١٢٢ وأورد الهيثمي حديث سهل بن سعد في مجمع الزوائد — جـ ٦، ص ١١٦ وعزاه لأبي يعلى قال: ورجاله الصحيح.

كأنها الرماح، وإنه ليكت كتيت الجمل. ثم صار إلى السيف ففعل الأفاعيل حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال: «من أهل النار» فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار! يا آل أوس، قاتلوا على الأحساب واصنعوا ما أصنع قال: فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال قد قتل، ثم يطلع ويقول: أنا الغلام الظفري! حتى قتل منهم سبعة، وأصابته الجراحة وكثرت به فوقع فمرّ به قتادة بن النعمان فقال: أبا الغيداق، قال له قزمان: يا لبيك قال: هنيئا لك. قال قزمان: أني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين، وما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا حتى تطأ سعفنا فذكر للنبي ﷺ جراحته فقال: «من أهل النار» فأندبته الجراحة، فقتل. فقال رسول الله ﷺ «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(١).

التمثيل بمن مثل بحمزة والصحيح في ذلك

لا شك أنّه قد آلم النبي ﷺ لما رأى عمه حمزة وقد مُثّل به، وحزن لذلك، وكيف لا؟ وحمزة أسد الله، وحبيب رسول الله، وهو الذي أزعج قريشا عندما أسلم، ودافع عن هذا الدين، حتى قابل ربه وقد أصابه ما أصابه.

ولما رأى الأنصار ما حصل للصحابة من المهاجرين والأنصار، بما فيهم حمزة رضي الله عنهم أجمعين، قالت الأنصار: لئن أصبناهم مثل هذا لنرْبِيَنّ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل : «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به...» الآية.

---

(١) المغازي: للواقدي — جـ ١، ص ٢٢٣ — ٢٢٤.

فقال رجل : لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « كفوا عن القوم غير أربعة »(١) .

أما الأحاديث التي فيها أن هذه الآيات نزلت في المدينة فضعيفة وأيضاً التي فيها أن النبي ﷺ هو الذي توعد قريشا بالتمثيل فضعيفة ، وإليك بيان هذه الأحاديث :

أ) قوله : « لئن أظهرني الله عليهم [يعني كفار قريش الذين قتلوا حمزة] لأمثلن بثلاثين رجلا منهم »(٢) .

ب) قوله : « لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين رجلا منهم ، فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ إلى قوله : (يمكرون)(٣) .

جـ) قوله ﷺ : « رحمة الله عليك إن كنت ما علمت لوصولا للرحم فعولا للخيرات ، والله لولا حزن من بعدم عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع — أو كلمة نحوها — أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك . فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى آخر الآية .

فكفّر رسول ﷺ [يعني عن يمينه] وأمسك عن ذلك »(٤).

---

(١) قال الألباني : رواه الترمذي (٤ / ١٣٣) والحاكم (٢ / ٣٥٩) وعبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٥ / ١٣٥) وحسنه الترمذي ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . سلسلة الأحاديث الضعيفة : جـ ٢ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) قال عنه ابن كثير : وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم . جـ ٢ ، ص ٥١٢
وقال فيه الألباني : ضعيف سلسلة الأحاديث الضعيفة . جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٣) ضعيف قاله الألباني . المصدر السابق . جـ ٢ ، ص ٢٧ .

(٤) قال ابن كثير رحمه الله : وهذا إسناد فيه ضعيف ، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري هو منكر الحديث ، تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ، ص ٥١٢ .
وقال عنه الألباني : ضعيف انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة : جـ ٢ ، ص ٢٨ .

(المراجع والمصادر بعد كتاب الله الكريم)
مرتبة حسب الأحرف الهجائية

١ آثار المدينة المنورة : لعبد القدوس الأنصارى . الطبعة الرابعة . دار الفنون بجدة .

٢ ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . لمحمد ناصر الدين الألباني المكتب الاسلامي .

٣ الاستيعاب في أسماء الأصحاب : لابن عبد البر . على هامش الاصابة . دار الكتاب العربي .

٤ أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير . دار الفكر .

٥ الاصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني . دار الكتب العلمية . وطبعة أخرى لدار الكتاب العربي — بهامشه الاستيعاب .

٦ إعراب الحديث النبوي : لأبي البقاء العكبرى . الطبعة الثانية . دار المنارة جدة .

٧ أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى : جمع واعداد محمد عبد الهادى المصرى دار طيبة .

٨ البداية والنهاية : لابن كثير . طبع دار الكتب العلمية .

٩ تاريخ الطبرى : لابي جعفر محمد بن جرير الطبري . دار الكتب العلمية . بيروت

١٠ تاريخ المدينة : لابي زيد عمر بن شبة النميري البصرى . دار الأصفهاني . جدة .

١١ تحليل للتاريخ الاسلامي اطار عام : لعماد الدين خليل . دار الثقافة . الدوحة .

١٢ تفسير القاسمي : لجمال الدين القاسمي . دار الفكر .

١٣ تفسير القرآن العظيم : لابن كثير . دار القلم . وطبعة أخرى . دار المعرفة .

١٤ تهذيب السنن بحاشية عون المعبود : لابن القيم الجوزية . دار الكتب العلمية .

١٥ التوجيه والتقويم خلال التاريخ الاسلامي : لمحمود شاكر . المكتب الاسلامي .

١٦ خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى : للسمهودى . المكتبة العلمية . المدينة المنورة .

١٧ دراسات تاريخية : للدكتور عماد الدين خليل . المكتب الاسلامي .
١٨ الدراية في تخريج أحاديث الهداية : للحافظ ابن حجر العسقلاني . دار المعرفة بيـروت .
١٩ الدرر في اختصار المغازى والسير : لابن عبد البر . تحقيق الدكتور شوقي ضيف . دار المعارف .
٢٠ الروضة الندية شرح الدرة البهية : لمحمد صديق حسن خان . دار الهجرة ومكتبة الكوثر .
٢١ سبل السلام شرح بلوغ المرام : لمحمد اسماعيل الصنعاني . دار الكتاب العربي
٢٢ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : للألباني . مكتبة المعارف . الرياض والمكتبة الاسلامية . عمان . الأردن .
٢٣ سير أعلام النبلاء : للذهبي . مؤسسة الرسالة .
٢٤ السيرة النبوية : لابن هشام . مع شرح أبي ذر الخشني . مكتبة المنار . الزرقاء . الأردن .
٢٥ السيرة النبوية دروس وعبر : للدكتور مصطفى السباعي . المكتب الاسلامي
٢٦ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : للدكتور محمد أبو شهبة . دار القلم . دمشـــق .
٢٧ سنن ابن ماجه : المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع . استانبول تركيا
٢٨ سنن الترمذي : بتحقيق أحمد شاكر . طبع الحلبي .
٢٩ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي . وحاشية الإمام السندى . رقّمـه وفهرسه : عبد الفتاح أبو غده . طبع دار البشائر الاسلامية .
٣٠ سيف الله خالد بن الوليد : أ . ى أكرم . ترجمة العميد ركن صبحي الجابي . دمشـق .
٣١ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : لأبي القاسم اللالكائي . دار طيبة . الرياض .

٣٢ شرح الزركشي على مختصر الخرقي : لشمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي . تحقيق عبد الله الجبرين . طبع شركة العبيكان . الرياض .
٣٣ صحيح مسلم بشرح النووى : دار احياء التراث العربي . بيروت . وطبعة أخرى لدار الكتب العلمية . بيروت .
٣٤ الصحيح المسند من دلائل النبوة : لمقبل بن هادى الوادعي . مكتبة ابن تيميـــة .
٣٥ صفوة الآثار والمفاهيم : لعبد الرحمن بن محمد الدوسرى . طبع شركة العبيكان الرياض .
٣٦ الطبقات الكبري : لابن سعـد .
٣٧ عمدة الأخبار في مدينة المختار : للعباسي . المكتبة العلمية . المدينة المنورة .
٣٨ عون المعبون شرح سنن أبي داود : لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى مع شرح الحافظ شمس الدين ابن القيم الجوزية . دار الكتب العلمية بيروت . وطبعة أخرى للمكتبة السلفية .
٣٩ فتح البارى شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني . طبعة دار الفكر . وطبعة أخرى للمكتبة السلفية .
٤٠ الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد : لأحمـد عبد الرحمن البنا طبعة دار الحديث القاهرة وطبعة دار الشهاب . القاهرة .
٤١ فضائل المدينة المنورة : لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي . بتحقيق محي الدين مستو . طبع مكتبة دار التراث بالمدينة . ودار الكلم الطيب . دمشق .
٤٢ القاموس المحيط : لفيروز آبادى . مؤسسة الرسالة .
٤٣ الكامل في التاريخ : لابن الأثير . دار الكتاب العربي . بيروت .
٤٤ لسان العرب : لابن منظور . دار صادر . بيروت .
٤٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمي . دار الريان .
٤٦ المجموع شرح المهذب : للإمام النووى . دار الفكر .
٤٧ المدينة بين الماضي والحاضر : لإبراهيم العياشي . المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
٤٨ المسند : للأمام أحمد بن حنبل . بتحقيق أحمد شاكر . مؤسسة قرطبة .

٤٩ معجم البلدان : لياقوت الحموى . دار صادر . بيروت .

٥٠ معجم جبال الجزيرة : لعبد الله بن خميس . الطبعة الأولى . الفرزدق الرياض

٥١ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : للأندلسي . بتحقيق مصطفى السقا عالم الكتب . بيروت .

٥٢ المعجم الوسيط : دار الفكر .

٥٣ المغازى : للواقدى . عالم الكتب . بيروت .

٥٤ المغانم المطابة في معالم طابة : للفيروز آبادي . الطبعة الأولى . دار اليمامة . الرياض . الرياض .

٥٥ المغني والشرح الكبير : لموفق الدين وشمس الدين . دار الكتاب العربي .

٥٦ نيل الأوطار : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني . طبع الحلبي وأولاده بمصر .

٥٧ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي : للسمهودى . دار الكتب العلمية بيروت .

محمد براء المليقي

﴿ فهــرس الموضوعــات ﴾

الموضـــوع	رقم الصفحــة

﴿ فهـرس صـور الكتـاب ﴾

عنـوان الصـورة	الصفحـة
	٧٨

قال أحد العلماء:

إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً إلا قال في غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، أو زِيْد هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.